

الفصل الثالث

البيئة والاخلاق

لقد حاولنا في الفصل السابق أن نبين العوامل التي أخذت في تكوين الخلق المصرى فى عصرنا الحديث . ثم حاولنا ايضاً أن ندل على تلك المواضع من هذه البيئة التى يجب أن يجرى عليها التغيير والتبديل أو بعبارة أخرى يجب أن نصلح البيئة المنزلية والمدرسية حتى يتسنى للولد أن يشترك اشتراكاً فعلياً وفعالاً فى الحياة الاجتماعية المصرية

وبالطبع يستحيل على أى انسان أن يبحث جميع العوامل التى تذهب فى بناء الاخلاق بحثاً مستوفياً كاملاً . لانه علاوة على أن هذا أمر مستحيل من الوجهة المادية فهو ايضاً مستحيل من الوجهة العلمية . وذلك لاننا لا نستطيع أن نعلم على التدقيق ماهى جميع تلك العوامل . فالكائن الانسانى معقد التركيب جداً . ثم اننا فى الواقع لا ندرى على التحقيق ما هى حدود البيئة . وليس يمكن بسط هذين العاملين بسهولة

وعلى أى حال فنحن مزمعون أن نبحث باسهاب بعض الاختبارات التى تساعد على تنمية الاخلاق فى الفرد . فان تبين من سياق الكلام أن ما اخترناه من تلك الاختبارات منفصل عن بعضه بعيد الشبه أو لا علاقة بينها جميعاً فيشفع فى هذا التفكك الظاهرى أن ما يربطها جميعاً هو الولد المصرى بمميزاته الدينية والاجتماعية والتعليمية . وبعبارة أخرى ليس المرجع فيما نقول هو علاقة الاختبارات ببعض أو ترتيبها وتبويبها بل هو الولد نفسه . ثم ليلاحظ القارئ ايضاً اننا لا نزمع حصر كل هذه الاختبارات بل سوف نتخير منها تلك التى يكون لها أثر ظاهر فى تكوينه . نقول اننا سوف نبحث فى بعض هذه الظواهر وسوف نحاول أن ندل على ما يجب أن يعمل فيها ما استطعنا الى ذلك سبيلاً

وتستطيع ان شئت ان تعتبر هذا الفصل ملحقاً للفصل السابق ومكملاً له مع العلم ان بعض ما سذكركه قد يظهر في بعض الأحوال غير مقتصر على الولد المصرى بل يتعداه الى الأولاد جميعاً في كل البلاد الأخرى . أو بعبارة أخرى قد يظهر انه عام ينطلق على غير أولاد مصر . وفي هذه الحالة يحسن بنا ان ننبه مقدماً الى ان ما نحتاجه نحن كمصريين ليس يعدو ان يكون حاجة عالمية عامة في كثير من الحالات . فنحن كباقي أهل الأرض في حاجة الى الخلق المتين

وسوف نحاول ان نكون عمليين في هذا الفصل مع ما في الواقع العملى من التعسف الذى ليس منه بد . والتعسف هو ضربة العملية أوشر ليس منه محيص لمن يريد ان يوضح الأمور توضيحاً لا يحتمل الشك . ولكننا لنا شفيح في هذا التعسف فى اننا نرغب ان نفيد ولسنا نريد ان نظهر براعة فى الاحتياط . وعلى حد قول الاستاذين شامبان وكوتنس ان « التعسف هو الثمن الذى يجب دفعه للصراحة والوضوح »

مكان الاسرة من التربية الأخلاقية

عندما يتكلم انسان فى مكان الاسرة من حياة الطفل وتأثيرها فى تكوين شخصيته وأخلاقه يشعر بقلق واضطراب . وذلك لانه مقرر أو فى حكم المقرر ان هذه قضية مفروغ منها . والبدء والاعادة فى أمثال هذا الموضوع تكرار على ومبتذل . ولكن رغماً عن ان العالم المتمدين قد أخذ يوجه جهوده لحل هذه المعضلة نكاد نحن فى مصر لانشر بوجودها أصلاً ان لم يكن من الوجهة النظرية فمن الوجهة العملية المحضة . ويخيل اليها ان هذه الظاهرة الاجتماعية لم يكن لها من مفكرينا الالتفات الكافى التى هى أهل له . قد يحوز ان وجهتها النسوية والانثروبولوجية لم تغفل كل الاغفال . اما من وجهتها العملية فتكاد تكون غفلا . ولذلك فان الانسان يشعر بأنه يجب عليه ان ينوه باقتضاب عن أثر الاسرة فى بناء الاخلاق لقد أجمع العلماء على انه ليس لظاهرة من الظواهر الاجتماعية مالمليت من الاثر فى تكوين الافراد . فالبيت هو معمل للرجال كما انه معمل للجناء والمجرمين والانذال . وهو من أهم العوامل التى أوجدت الناس فى حالتهم الراهنة ان لم يكن

أهمها على الإطلاق . وكما قال وولتر فسك (١) « بعض العوامل الأخرى مهمة . ولكن البيت أهمها جميعاً . بعضها قوية فعالة . ولكن البيت الفاضل الكريم القوى لن يقهر على أمره في تكوين الاخلاق »

ولو أخذنا برأى الاستاذ (أوشيا) من جامعة هارفارد بأن « معظم ميول الأطفال نحو الناس والمعاهد والنظم الاجتماعية والعادات المحيطة بهم تتكون في العاشرة أو الحادية عشر من عمرهم » فقد حق علينا أن نقول أن الناس كما هم في حالتهم الراهنة رجالاً ونساء ، هم في الواقع ونفس الامر من صنع البيوت . ومع أنه ليس مأموناً من الوجهة العلمية أن نزع أن الأطفال يتم تكوينهم في العاشرة أو الحادية عشر — لأنه في الواقع لا يتم تكوين انسان الا في نهاية أجله — نقول مع أنه لا يتحتم علينا من الوجهة العلمية أن نأخذ بهذا المذهب الا أنه يكاد يكون من المحقق أن في مثل هذه السن يكون الجزء الأكبر من أساسات الشخصية بجملتها والأخلاق على الخصوص قد فرغ من وضعه . ففي مثل هذه السن أو ما يقرب منها بكثير أو قليل تتكون ميول الفرد نحو الظواهر الاجتماعية حوله بشكل يدل على البقاء والثبوت . وذلك لأن التلبات النفسية وردود الأفعال يكون قد تم الارتباط بينها وبين تلك الظواهر . وعلى نوع هذا الارتباط يتوقف ميل الفرد لأن يدعو لصالح تلك الظواهر أو لغير صالحها . أو بعبارة أخرى تكون ميول الطفل قد أخذت تسير على منوال يتفق أولاً مع ما يجده حوله من الحياة الاجتماعية . متى تساوت العوامل الأخرى فان مثل هذه الميول تأخذ في الثبات والاستمرار والتأصل . « فلماذا اذن لا يهتم الوالدون الاهتمام كله لهذه التربية الأولية . تلك التربية التي تتحكم في مستقبل الطفل وتوجه مصيره . » كما يتساءل روفوس جونز ؟

عمل البيت

لقد اتفق العلماء على أن للبيت وظائف عدة أهمها ثلاث . وهذه وظائف

(1) " Parents and Their Problems,, by The National Congress of Mothers Vol 1V P. 283

أساسية في تكوين الجماعات البشرية . فهو اولا الوسط الوحيد المعترف به من الشرائع لتحقيق الغرائز الجنسية . وثانياً — وهذه نتيجة للاولى — أن المنزل هو الاداة الوحيدة لحفظ الحياة الانسانية من الانقراض بالتناسل المشروع . وثالثاً يكاد البيت أن يكون النظام الاجتماعي الوحيد لتربية الأطفال . ويحسن بنا أن نمر بوظيفتيه الأوليين من الكرام خصوصاً ونحن ليس لنا معهما شأن . وأما وظيفته الثالثة فهي كل ما يعيننا في هذا المجال

يخيل لنا ان اهم وظائف البيت بلا مرء هي الاعتناء بالاطفال بعد ان يولدوا لانه قبل ان يتكون الجنين في بطن امه يكون ملكاً لابويه ان شاء اوجداه وان ارادا تركاه حيث هو في عالم الغيب . والترك او عدمه ليس بهم الجماعة البشرية كثيراً الا متى صار هذا سنة يتبعها الجميع فتؤثر في الجماعة من حيث ندورة النسل فانقرض النوع او من حيث كثرته بشكل ينزل بمستوى العيش والحياة في العالم . وحتى مع ذلك يظهر لنا ان العالم لا يهتم لما سيكون ان خطأ او صوابا . ولن يتدخل الامتى كان النسل حقيقة واقعة اى لما يولد الطفل . ففي هذه الحالة فقط تدعى الجماعة ان لها حقوقاً على الاحياء وان لها مصالح فيهم تسهر عليها وترعاها . فمن هذه الوجهة اذن تكون أهم وظيفة للعائلة في نظرنا هي رعاية الطفل بعد ان يولد ويتحقق وجوده المستقل وهذا ما يدعونا الى الزعم ان تلك الوظيفة بالذات هي اهم الوظائف على الاطلاق وذلك لمساسها بكيان النوع وتطوره مساساً مباشراً ذا أثر مستمر ومستديم . ولكنه يظهر من الواقع الملبوس ان البيت في مصر يكاد يفشل فشلا ذريعاً في تأدية تلك الوظيفة بالذات

- فالأغلب ان حاجات الطفل المادية تتوفر له بقدر ما تسمح به طاقة والديه الاقتصادية وان كان للجهل في معظم الحالات يفسد عليهما نواياهما الحسنة . وعلى كل فيها يقدمان له غذاء ومأوى ومع ما في طريقة خدما تهما للطفل من المآخذ الكثيرة الا انه ليس لانسان ان يتهمهما بعدم الرغبة في توفير كل الاسباب للاطفال لان الرغبة متوفرة للوالدين وعدمها ليس امراً طبيعياً . ومتى تساوت جميع العوامل فاننا نستطيع أن نقرر أن العائلة هي خير من يقوم على حاجات الأطفال المادية بشرط

أن تكون العوامل الاقتصادية مساعدة على ذلك . ومع كل هذا فالتنا ندعو الى وضع تشريع يحمى الاطفال في سنينهم الأولى بما قد ينجم عن استحالة بقاء الأب والأم في كف واحد

ولكن حاجات الطفل المادية ليست كل ما ننتظر من الوالدين . فالعيش ليس كل مستلزمات النفس البشرية . بل يلزمها النماء والتقدم في الشخصية والاخلاق وعلى العائلة أن تقدم للطفل ما يساعده على أن يصير رجلاً . وسواء أرادت العائلة أم لم ترد فإنها قوام على رجال الدنيا ونسائه . وهنا يتضح لنا مقدار فشل العائلة المصرية في تأدية هذا الواجب . فهي عاجزة والتاج ردى . ومن ثم صارت الجماعة مريضة

البيت هو أول من يستقبل الطفل في هذه الدنيا . وهو أول من يقدم له ذلك التراث الاجتماعى الذى تسلمناه ممن غير . لا بل هو أول من يعلم الطفل أن يودى ما يعنى بأصوات متغيرة وأول من يعلمه الكلام . فالعادات والعرف والظواهر الاجتماعية المختلفة يلقاها الطفل عن والديه أولاً . وهناك يتصل بالجماعة البشرية أول اتصال . وهناك يتعامل مع الانسانية بالأخذ والعطاء . وهناك أيضاً يرى الجماعة البشرية فى أول مراحلها وعلى أبسط صورها . وليس من ينكر أن الأسرة هى الوحدة الأولى للجماعة . أو النموذج المصغر القابل للفهم والادراك . ففى البيت يتعلم الطفل أول ما يتعلم عن الخطأ والصواب . والحسن والقيح . وهناك أيضاً يتلقى معنى الملكية الفردية والحكومة والواجبات والحقوق والمميزات

وبالاختصار نستطيع أن نقول أن البيت هو أول معمل يجتازه الطفل ليخرج منه الى الجماعة البشرية مستكمل شرائط الانسانية أو فاقدتها كل فقد . فهو المصنع الذى يصطنع من ذلك الحيوان الصغير عضواً نافعاً للجماعة . أو يفشل فى ذلك فشلاً تعود مضاره على العائلة والجماعة والطفل جميعاً

ومع كل هذا تدرج الجماعة البشرية على الزعم الظاهرى أو المستور أن العائلة فى حالتها الراهنة كفء لأداء كل هذه الواجبات . فلم يخطر فى بالها أن تتساءل عما اذا كان الأب والأم جديرين بالاضطلاع بهذه المسئولية . ليست تترث لتأكد

هل الثقة التي تضعها في الأب والأم هي في محلها أم هي ثقة عمياء تكاد تكون توكلا يضر ولا يفيد . فالاولاد هم أفراد في الجماعة كما هم فلذات اكباد الوالدين فلها حق رعاية مصالحهم كما أن ذلك من حق الآباء . فلماذا اذاً لا تتنبه الجماعة لواجباتها ؟ وتلتفت الى هؤلاء الاطفال فتأخذ بيدهم في نموهم وتقدمهم وتأخذ بيد والديهم في القيام على صوالحهم لماذا تترك هذا الواجب للآباء كل الترك ؟ كأن الوالدين لا يخطئون . أو كأنه مفروض فيهم التنزه عن العيوب . أو كأن رعاية الاطفال حق الهى منحه الله فقط للآباء والامهات . أو كأن الطبيعة أخذت على عاتقها تفهيم الوالدين ما يحسن بهم أن يفعلوه مع اطفالهم وقصرت هذه المعرفة عليهم دون غيرهم . يقول شابمان وكوتنس (١) في هذا الصدد « نحن درجنا على الزعم أن الفتاة التي ليس لها حظ يذكر من الادراك والفهم تصبح في لحظة وبطريقة تكاد تكون سحرية حائرة على القدر الكافى من العلم فتعنى بوليدها ليس من الناحية المادية فحسب بل من الناحية العقلية والاخلاقية ايضاً » وكل هذا الانقلاب الخارق للعادة ليس لشيء سوى انها وضعت وليداً

كأنه يكفى الأم أن تضع الوليد لتصير اهلاً للقيام على اخلاقه وميوله وشخصيته فما دامت قد حبتها الطبيعة بالولد فلا بد وأن تكون قد حبتها ايضاً بالقدرة على تربيته والقيام على جميع مصالحه . وتنسى الجماعة أو تناسى أن القدرة على الاتاج امر يتساوى فيه البله والعتة والمجانين . وأنه لا خلاص للانسانية الا بتدخلها بين الوالدة ووليدها لصالح الولد والأم والجماعة جميعاً

وفي الحق أن البيت في حالته الراهنة يكاد يكون ضربة على نمو الاولاد الاخلاقي والاجتماعى . فالتعاويد والسحر يكادان يستبدلان من الطب والعلم . ويكاد الجهل والخرافات تغطى على العقل والبصيرة في التصرف مع الاولاد . فيجب والحالة هذه أن نفعل شيئاً لسلامة الجماعة المصرية . نستطيع على الأقل أن نتحقق من كفاية الشاب والشابة عند الزواج لان يعتنيا بأبدان الاولاد وعقولهم وأخلاقهم

علاقة الاب بالام

يتوقف نمو الاولاد الاخلاقي على مقدار حظ الوالدين من الذكاء كما ذكرنا

آناً . ثم انه يتوقف أيضاً على العلاقة الكائنة بين الاب والام كما سنبين الآن . وقد يظهر غريباً لأول وهلة اذا نحن قلنا ان خير الاولاد المادى من حيث النمو الجثمانى السريع يتوقف أيضاً على جو العائلة . ومع انه يمكن الاخذ بهذه النظرية والدفاع عنها بسهولة إلا اننا نمر بها مرأً سريعاً ونتركها لمن يريد استقصائها . أما نمو الاولاد الاخلاقى بالاختصاص فهذا ما يتحتم له جو صحو رائق فى البيت . فتى حل السلام فى عائلة ومتى استتب التعاون والحب الاكيد والتفاهم بين الاب والام فلا بد من توافر أسباب النمو الاخلاقى للذرية متى تساوت العوامل الاخرى . لانه فى مقدور الاطفال أيضاً ان يرتبوا النتائج . ولبساطهم وسلامة طويتهم يعملون فى الحال بمقتضى تلك النتائج . وليس ترتيبهم لها يتبع طرق المنطق والتفكير بل يكاد يكون الهاماً . لابل نستطيع ان نقول مجازاً انهم يستنشقون آراء احد والديهم فى الآخر . ثم يرسمون خطاهم من دون تفكير لانه فى عرفهم ان سلوك والديهم ليس مادة للتفكير والتأمل ولكنه مثال يحتذى للتو والساعة من غير ما بحث أو ترو . فى عرفهم أن الأب يتحدث هكذا والام كذلك ليس لدوافع قد تغيب عن الاطفال أو قد لا تغيب بل هما يعملان ذلك والسلام وما على الاطفال الا أن يعملوا مثلها لأن طبيعة الأشياء تتطلب ذلك

ولسنا نقصد فيما نقصد بالعلاقة بين الاب والام أن أحدهما يقدر الآخر ذلك التقديس الظاهرى الفارغ . بل نغنى شيئاً أكثر من ذلك وأبعد غوراً لأن ذلك الاحترام المصطنع — احترام الرجل للمرأة لأنها امرأة ولأنه رجل والسلام — قد أخذ يتقلص ظلّه فى بعض الجماعات المتمدينة . وأول من أخذ يمجّه هو المرأة نفسها التى يقدرسونها من جهة ومن الجهة الأخرى يضمنون عليها بحقوقها فى الانتخابات . فهى على هذا مقدسة . وهى أيضاً لاتفهم وكل هذا فى الوقت الواحد وحسنا فعلت بطلة طاغور عندما أخذ الرجل يتملقها بقوله « أنت مقدسة . أنت الهة » فاجابت « كلا . كلا . لست مقدسة . ولست الهة . وانما أنا انسان . أنا امرأة »

وفى الحق أن المرأة الغربية وخصوصاً الامريكية أخذت تمتج ذلك الضرب من

الاحترام المصطنع . فهي تريد الآن أن تعامل كأنسان عادى ليس له من المميزات شىء على من عداه . تريد أن تتساوى بالرجل فى الحقوق وفى الواجبات . ليس نظرياً فقط بل عملياً أيضاً . حقاً أن الشقة لازالت بعيدة علينا نحن المصريين من هذه الناحية . ويكاد الانسان يحزم أننا سوف لانصل هنالك مطلقاً بغير حرب ضروس بين الرجعيين والمجددين منا

ونحن لسنا نرمى من هذه الدعوة الى مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية أو غير الحقوق السياسية لسنا ندعو المصريات الى أن يغمضن عيونهن ويتبعن اخواتهن الغربيات فى كل ما يذهب اليه . لأن مثل هذه الدعوة سواء كانت صائبة أو خاطئة ليس لها محل فى هذه الرسالة . ولكن كل ما نرمى اليه هو أن يأخذ المصريون بيد المرأة لتصير فى مصاف الناس من حيث الاحترام لشخصيتها واعطائها حقوقها على العموم . وليس يعنى هذا حقوقاً مفردة بذاتها على التخصيص . وسواء عندنا فى هذا البحث أن تنال هذا أو ذاك من أنواع الحقوق التى هى الآن وقف على الرجال . وانما ندعو الى أن يكون لها يد ظاهرة فى شئوننا العامة وفى أحوالنا الاجتماعية

فيرى من هذا أننا لانرمى الى تقديس المرأة أو تملقها أو ماشاكل ذلك . ثم لانرمى أيضاً الى دعوة معينة لها . بل كل ما نذهب اليه هو أن تعامل فى بيتنا معاملة تختلف عما يجرى الآن . كأن يكون لها فى البيت من الاحترام ما للرجل . ولها من الحرية ما يساعدها على أن تنمو فى شخصيتها وتستوفى الاحترام الواجب لها . فلا يعود الأطفال يشعرون أنها مستعبدة للرجل أو أقل منه بأى وجه من الوجوه . بل مكملة له ومتممة لوجوده . وانها الركن الاساسى فى العائلة

ثم أن هذه العلاقة بين الآب والأم تستدعى أيضاً أن يتعاونوا فيما بينهما فى كل ما يتعلق بتربية الطفل . هذا التعاون يكاد يكون منعدماً فى بلادنا . لأنه كثيراً ما يتشاحنان ويقتتلان أو يتجاذبان النفوذ على الطفل . فترى أن أحدهما يحاول جهده لأن يقضى الآخر عن أن يكون له على الطفل يد أو قول . وهذا بالطبع من الأخطاء التى لا تحتاج الى كبير عناء لأظهار ما فيها من خطر . لأنه لا يحسن أن يترك

الولد لأحدهما بمفرده . بل يجب بقدر المستطاع أن يتأملا سوية فيما يجب أن يتبع
حياله عندما تعرض لهما مسألة . ولا يجب أن يختلفا عليه في بعض الأمور كأن
تريد الأم أن تفعل معه شيئاً فيعارض الأب أو بالعكس . لأن هذا علاوة على
أنه يباعد الهوة بينهما ، يستاعد الطفل على أن يتحدى فيما هو آخذ به . ففي مثل هذه
الحالة التي يختلف فيها الوالدان يميل الطفل الى أن ينسب الظلم والتعسف لمن
يعارضه منهما . وأيضاً يتسمم فكره من نحو أحدهما ويوغل في التسمم اذا أوغل
هذا في الخلف . ثم ينتج أيضاً أن الطفل يفعل ما يعلم أنه لا يحسن به أن يفعله .
يفعل ذلك اتكالاً على حماية أحد الوالدين

وأيضاً يجب أن لا تترك تربية الطفل للوالد بمفرده كما تفعل بعض العائلات .
لأن مثل هذا الترك يخرج العلائق بين الأب والابن . فيصير الأب في نظر ابنه
كالبوليس للجرم لا صلة بينهما الا عن طريق التجاذب والاختلاف في الميول
والرغبات . وبعد فليس الأب قاضياً أو حاكماً ومنفذاً للقوانين . بل هو أب قبل
كل شيء . يجب أن يتقابل مع ابنه في غير موضع للتوبيخ والعقاب كل هذه أمور
ظاهرة لا تحتاج الى شرح أو تفصيل كثير . ويمكن تجنب الاخطار التي تنجم عنها
بقليل من العقل والروية من ناحية الابوين

مركز الطفل في العائلة

يؤكده الدكتور بنزيون ليبير في كتابه (الطفل والبيت) امراً اغفله الاباء
كثيراً . الا وهو أن الطفل ليس متاعاً أو سلعة تمتلكه العائلة . ويوغل الدكتور
في هذه الحقيقة ويتكى عليها كثيراً بحيث يشرف على التطرف . أوغل فيها بشكل
دعا معارضية الى رمية بأنه يريد أن يكون الابوان ملكاً للطفل يلهو بهما ويلعب
ولكن رغماً عن هذا الاتهام الذي يصمه به معارضوه نرى نحن اننا في حاجة الى
توكيده والحافه والى اكثر من هذا التوكيد وذاك الاخاف . نحن في مصر اكثر
من غيرنا في حاجة لأن نفهم أن الطفل ليس متاعاً للوالدين يلهو به ويتمتعان
الحق أن الطبيعة لم ترزق الناس أولاداً لتسرمهم أو تسليهم أو تخفف عنهم مشاق
العيش وتكاليف الحياة . ومع ذلك فقد درجت الناس على جعل الاطفال في هذا

الوضع ، وضع المهرجين الذين خلقوا ليتحركوا وينشطوا ويتعلموا فيقهقه الآباء
عجائباً وسروراً . أما إذا أراد الطفل أن يفعل ما يريد . إذا رغب في أن يسر نفسه
وليس الكبار . إذا شعر أن له أيضاً ميولاً يريد أن يفقدها ويستجيب لها . فلا .
انه في هذه الحالة يكون عاصياً . وليس يعدم الآباء حيلة في معاقبته على عصيانه
وليس المؤلف مبالغاً في هذا أو متعسفاً فقد حصل أمامه بحرفه . واليك التفصيل
ذهب الكاتب لزيارة إحدى العائلات الراقية . وكان لها ابن في الثالثة أو الرابعة
من عمره . وقد حدث لسوء حظ هذا الطفل أو لحسنه أن كان قد تعلم أن يقلد بعض
الرجال الذين اعتادوا زيارة هذه العائلة تقليداً مضحكاً فكها يدل في الواقع على
انه قوى الملاحظة . أراد الاب أن يرى الكاتب مهارة ابنه في هذا الضرب من
المحاكاة . ولكن الولد كان في دنيا غير هذه الدنيا . كان منهمكاً في تنضيد العابه
وصفها الى بعض . وكان هذا يستغرق كل ما يملك من انتباه وحس . اراده الوالد
على أن يترك كل هذه ليهرج أمام الكبار ويسرهم ويضحكهم ويسليهم . وأراد
الولد امراً بخلاف هذا . فضل أن يظل بقرب العابه ليسر نفسه ويشبع اهواءه
وميوله فما كان من الوالد الا أن عاقبه على ذلك . ولما لامه الكاتب اجاب بقوله
« لا . اسكت . يحسن بالاطفال أن يطيعوا اذ يؤمرون » فقال الكاتب « كلا
كلا . يحسن بهم أن لا يكونوا سوى الات صماء في أيدي الآباء لا يفعلون غير
ما يريدونهم أن يفعلوا »

هذا نوع من التملك للأطفال لا يترك لهم مجالاً لينموا ويكبروا . كأنهم ما خلقوا
إلا ليسروا عن نفوسنا مللها وتبرمها بالحياة . اما الاطفال أنفسهم فيجب ان لا يكون
لهم زغائب واهواء يسعون وراءها . ثم ان هناك ضرباً آخر من التملك يفسد على
الاطفال حياتهم وينغص عليهم عيشهم . وذلك هو محبة والديهم لهم . وفي الحق ان
المحبة التي هي أفضل العواطف الانسانية وأسمأها والتي تعتبر بحق من الغايات
الكونية القصوى . هذه المحبة تكاد في حالات كثيرة تنقلب الى حب التملك الذي
هو في آخر مداه نوع من حب النفس . وظاهرة هذا النوع من المحبة تتبين من علاقة
الوالدين بأولادهم في حالات كثيرة

فما دامت الام مثلاً ترغب في تقبيل ولدها دلالة على حبها له يجب ان يكون الولد راغباً في ذلك أيضاً في نفس الوقت . ومتى شعرت الام انها تميل الى التعبير عن ذلك الحب بقبلة يجب ان يتقبل الطفل ذلك بنفس رضية متلهلة فرحة في جميع الأوقات . وبالاختصار يصر الوالدون على حب الاطفال والتعبير عن ذلك الحب بالطريقة التي تعجبهم هم بغض النظر عن ميول الطفل في ذلك الوقت وبغض النظر عن ظرفه الذي يعيش فيه . نحن لانعترض على المحبة الوالدية ولكننا نعترض على زعم الوالدين انه متى شعروا بضرورة شيء أو برغبتهم فيه يتبع ذلك حتماً ان يشعر الاطفال مثل هذا الشيء .

ثم ان محبة الوالدين للأولاد تكون في كثير من الحالات أو في أغلبها عبارة عن عاطفة صرفة ليس للعقل دخل فيها . والعاطفة من غير العقل عمياء وجاهلة ومتقلبة ومندفة وشديدة الخطر . ولا يستطيع الانسان ان يوجهها وجهة معلومة بل نستطيع ان نقول انها هي التي توجه الانسان الى حيث تريد . فيصير مطية لها تقوده بزمام الى حيث لا يمكنه ان يذهب فيما لو كان ينقاد للعقل . ولأن العاطفة قلب فهي لاتستقر على حال وتجدها تتحول من النقيض الى النقيض في لمح البصر . فبعد ان كانت رقيقة كالنسيم تراها كالبركان ينفجر من هنا ومن هنالك وتصيب ماتصيب ومن تصيب من غير مبالاة أو ترو

ولكم من مرة ترى الأم تسيل رقة وحناناً وعطفاً على وليدها في وقت ما . ثم تثور عليه متى جن جنونها وتنهال عليه رفضاً ولكراً . وذلك لأنها تتبع الغريزة والفطرة فقط في حبها وفي غضبها . فهي تتبع الغريزة والفطرة فقط في كلتا الحالتين . وليست بمستطاعة ان تفعل غير هذا اذا ما اسلست قيادها كله للعاطفة من دون العقل والفكر . نقول ان هذا النوع من المحبة غريزي غير متأثر بحكم العقل والفكر . وهو مدعاة الى الأسف الشديد . وبالطبع لسنا في حاجة كبيرة الى تبيان مافي هذه الميول من الأخطار على تربية الأولاد الأخلاقية . تقول السيدة تيودور برني (١) في هذا الصدد « ينجم عن فكرة ملكية الاطفال كثير من الاخطاء في تربيتهم .

(1) "Parents and Their Problems,, Vol III P. 119

اما لو تغلبت فكرة الوصاية عليهم على فكرة التملك هذه لأمكن ان ينالوا بعض الاحترام والتقدير الواجبين لهم . ولا استطاعوا ان يفهموا العدل على وجه أتم وان يتجهزوا لدور الآبوة والامومة وحب الوطن . اما فكرة التملك فهي تغدق عليهم العواطف الحسنة حيناً لتتهال عليهم بالعقوبات الشديدة حيناً آخر »

ونستطيع ان نقول ان أغداق العواطف الحسنة حيناً والانهيال بالعقوبات حيناً آخرهما الطريقتان المتبعتان في مصر في هذا الزمان . اما القصد والاعتدال في الاثنين فليس لنا منهما نصيب كبير أو صغير . لسنا نقصد ونعتدل في حبنا لاطفالننا أو في عقابنا لهم على السواء . لسنا نفهم للتوسط معنى . فاما هذا أو ذاك وليس غير . وبينما نحن نتردد في اتباع الدكتور بنزبون لير الى آخر شوطه وذلك تبعاً للعرف والعادة أكثر من أى شىء آخر . إلا اننا لانذهب مذهب كثير من العائلات في بلادنا في هذا الامر . اننا نميل لان نعتبر الولد حراً أكثر منه ملكاً لوالديه أو ما أشبه ذلك . حقاً ان بلادنا ملأى بأمثال استيفينس الذى كتبت عنه دوروثى كانفيلد في كتابها The Home Maker وان أنسى لأأنسى ما قاساه استيفينس هذا من خيبة الامل والتعاسة اللذين نتجا عن حب والدته له وغيرها على صالحه المزعوم . ومع ان أمثال هذه الام كثير إلا اننا لانستطيع ان نزعمن انهن لايحببن أطفالن رغماً عما يقوم في أذهان الاطفال أنفسهم أمثال استيفينس واضرابه من التنكر لهذه المحبة

إحاجة الولد لاحترام شخصيته

ان الولد — والبنت أيضاً — في حاجة ماسة الى احترام شخصيته . فهو حقيق بالاحترام عندما يتكلم وعندما يسكت ، عندما يسأل وعندما يجيب . وحقه في هذا الاحترام هو كحق البالغين سواء بسواء . قد يكون كلامه غير ذى معنى في نظرنا وقد تكون أسئلته فارغة . ولكن هذا الكلام وذاك السؤال هما في نظره شىء مهم أو معضلة عسيرة الفهم . فهو اذ يتكلم يحاول ان ينال حظه من الامور الاجتماعية . وبالتالي يظل يبني أخلاقه حجراً على حجر . فالضغط عليه وانتهازه في مثل هذه الحال لاييساعده من هذه الوجهة مطلقاً بل يدفعه الى الفردية المردولة . أو الى العزلة

التامة عن هذه الدنيا والانكاش الى نفسه فيضيق مستوى خبرته بالجماعة . إيمان يدفعه هذا بالذات او يدفعه الانتهاز الى الايمان بظلم الحياة وعسفها . وهذا بدوره يدفعه الى التمرد والعصيان . هذا إذا كان الطفل في الاصل ذا شخصية قوية

ولربما يدفعه الاحتقار والامتهان الى ان يأخذ هذا الامر على انه هو الذى يجب ان يعمل مع الصغار والضعاف . فينتهر بدوره من هم أضعف منه ويحتقرهم ولا يقيم لقولهم وزناً قياساً على ما يفعله معه الكبار البالغون . واحتقار الضعفاء والازدراء بهم ليسا من الاخلاق فى شيء . وبخلاف هذا وذاك ألا يدري الوالدون ان الصغار يشعرون بالاهانة والتحقير عندما يصدّمهم الكبار وينتهرونهم قبل ان ينتهوا مما هم فيه ماضون من الحديث ؟ الحق انه ليس فى هذه المعاملة شيء من الاحترام للصغار . ومع ذلك فلا يزال كثير من العائلات يسلك بازائهم هذا المسلك الجشع كأنه ليس من اللائق بالصغار ان يعبروا عما يجول فى أدمغتهم الصغيرة ومن الناحية الاخرى ان أسئلة الصغير دليل على تطور قواه العاقلة أو المفكرة فهو يريد ان يرد الاسباب الى مسبباتها أو يكتشف تلك الاسباب اذا لم يكن قد اكتشفها بعد . فاذا لم تكثر أسئلته فى هذا الدور فثمة نقص فى تكوينه العقلى يجب البحث عن علته . يجب عرضه على احد أطباء العقول او الأجسام ان كان لايسأل كثيراً عن طبيعة الكون حوله . فاذا ما أخذ يتساءل كماهى عادة الأطفال ، فمن حقه كما انه من الواجب الذى لا مفر منه على الاباء ان يجيبوه . يجب ان يكون الأمر كذلك لعدة أسباب . أولاً لأن فى اجابته دليلاً على احترام شخصيته . وثانياً لأنه يعود على احترام نفسه واحترام الآخرين . وثالثاً لأن هذا دليل على تفتح ذهنه للظواهر الطبيعية والاجتماعية التى تحيط به

أثر النقود فى التربية الأخلاقية

يجب أيضاً تأكيد الاحترام للطفل فى الأمور الاقتصادية . فيجب ان يكون للأطفال نقود خاصة يتصرفون فيها بمحض ارادتهم وبدون تدخل من الوالدين . اما السبب فى عدم الأخذ بهذا المبدأ على ما نظن هو اعتقاد الوالدين ان الأولاد لا يدرون كيف يتصرفون فى أموالهم . ولأنهم لا يدرون تراهم يرتكبون اخطاء

كثيرة . ولكن ليس يصح ان يكون هذا الخطأ داعية لخطأ آخر وهو ان يتدخل الآباء من غير مبرر في شئون الأولاد . لا يجوز ذلك لان الكاتب للآن لم يعثر على بالغ لم يخطئ في مثل هذا الامر . واننا نشعر اننا أخطأنا كثيراً في التصرف في أموالنا ولا نزال نخطئ وسوف نخطئ في المستقبل أيضا

ان التدخل في مايجب ان يفعله الابناء بأموالهم وفيما لايجب ان يفعلوه لم ينجم في الواقع إلا عن عدم احترامنا لهم الاحترام الواجب . ليس السبب الظاهري وهو جهل الاولاد إلا في الحقيقة ستاراً يغطي الدافع الحقيقي وهو ان الكبار لا يحترمون شخصيات الصغار . وقد يشعرون بهذا وقد لا يشعرون . ولكنه على كل حال هو الاصل في التدخل في شئون الاطفال . فتارة يكون هذا التدخل على سبيل النصيحة . وتارة يكون على سبيل الامر والنهي . فكيف اذن يتدرب الاطفال على الاضطلاع بالمسؤوليات متى كان هذا هو شأن الوالدين معهم فيما يملكون ؟ كيف نتظر منهم أن يكونوا رجالا اذا كنا نستعين بحكمهم على الاشياء الى هذا الحد ؟ متى يستطيع الولد اذن أن يعد نفسه لتحمل المسؤوليات الجسام في المستقبل إن كنا نحرمه في صغره من التحكم في مثل هذه الامور التافهة ؟ هل يظن الوالدون انهم سيخلدون في هذه الدنيا وسيبقون بجانب الولد حينما يصير رجلا فيحملون عنه ما هو من واجبه أن يحمل من مسؤوليات الحياة ؟ فمن حسن السياسة اذن في التربية الاخلاقية أن يكون للطفل مجال يتصرف فيه من تلقاء نفسه وبارشاد عقله من غير تدخل من أحد . وكل ما يطلب من البيت في مثل هذه الاحوال أن يساعده على تفهم الحقائق ثم يتركه لنفسه ليدفع ثمن اخطائه ويتناع الاختبارات بذلك الثمن التافه . أى بالاخطاء التي سيقع فيها حتما . يقول الاستاذ جورج كو (١) « يجب أن يكون لكل فرد من العائلة الديمقراطية مجال للاقدام . ويكون له وحده في هذا المجال القول الفصل » ويقول أيضا « أن حرمان الاطفال من حرية الارادة هو بمثابة وضعهم في طبقة اجتماعية خاصة تحت سقف بيوتهم » ويقصد الأستاذ من ذلك أن من يحرمهم من الاستقلال في ارادتهم يقيم الفواصل الاجتماعية بينهم وبين

البالغين في العائلة : ويقول الاستاذ ويجال (١) « يجب أن يعامل الاطفال معاملة الاشخاص في الهيئة الاجتماعية سواء أكانت هذه الجماعة هي العائلة أم الانسانية عامة . يجب أن يفهم أن لهم حقوق وأن عليهم واجبات . وأن حقوقهم تحترم ويجب أن يؤدوا واجباتهم حق اداؤها »

يجب أن تكون حريتهم في التصرف في أموالهم مظهرًا من مظاهر تلك الحقوق فعلى تلك الحرية يتوقف كثير من فهمهم لحقوقهم وحقوق الآخرين . ثم انهم يتبنون واجباتهم من غلطاتهم التي يقعون فيها . فعلى أى الحالات سواء اخطأوا أم اصابوا في هذا التصرف فانهم يتعلمون في كلتا الحالتين . يقول ويليام بايرون فوربوش (٢) في ختام بحثه في هذه النقطة . « وبالاختصار اننا نعتقد أن الاستعانة بالنقود في تربية الاطفال هي من أهم العوامل في تلك التربية . فيجب على كل أب أن يضع نظاماً اقتصادياً لابنه . ويجب أن يكون هذا النظام قابلاً للتعديل والتحويل مع نمو الطفل . ثم يجب أن يطبق هذا النظام بالعدل والتسامح ويأخذ به الأب الى أن يشب الابن عن الطوق » ثم ينصح ايضاً انه لا يجوز مطلقاً معاقبة الابن باستقطاع جزء من مصروفه بحال من الاحوال . ونحن ايضاً نرى رأيه في هذا الامر وأكثر من هذا فالتنا نرى أن الولد يجب أن يعطى حقه في الاشتراك في وضع ميزانية العائلة بكلمها . وبعبارة أخرى ليس من حق الولد فقط أن يتحمل مسؤولية التصرف في ماله بل يجب أن يكون مسئولاً أيضاً ولحد محدود عن خير الجماعة التي هو أحد أفرادها . يجب أن يتدرب على الاضطلاع بهذا الواجب الذي سوف يضطر لأن يضطلع به في المستقبل . وهذا ما لانفعله نحن في بلادنا بوجه عام قد يكون هذا نظام بعض العائلات المبعثرة هنا وهناك . ولكننا لانعرف عن هذا النوع شيئاً . أما الغالبية المطلقة فلا تعمل شيئاً من هذا . وانما نعرف أن الأب هو المسئول الأول والوحيد أيضاً عن التصرف في موارد العائلة تصرف الحاكم المطلق

ولو أخذت العائلات بهذا النظام لاستطاع الاطفال أن يدركوا بالحس المدى

(1) Weigle "The Trainig of Children in the Christian Family,, P. 181

(2) " Parents and Their Problems,, Vol IV P.187

الذى تصل اليه طاقة العائلة الاقتصادية . يجب أن يشترك الاولاد في التشاور في أمور العائلة المالية حتى يتعرفوا حدود مقدرتها الاقتصادية لأنهم في معظم الأحوال يظنون لجهلهم بالحقائق أن والديهم قادرون على كل شيء من تلك الوجهة ولكن اذا ما كان لهم حظ الاشتراك في التصرف في مال العائلة يستطيعون أن يدركوا الحقائق ولا يعودون يثقلون كاهل أهلهم بالطلبات الغير المستطاعة . ثم من الجهة الأخرى لا يبرمون بوالديهم إذا ما عجزوا عن تحقيق كل رغائبهم أو سد كل حاجياتهم ولا يتسرب الشك عندهم الى ان امتناع الوالدين عن تحقيق تلك الرغائب شيء ارادى أو مقصود لذاته ، أو أن الوالدين لا يرغبون في الاستجابة لمطالب أبنائهم تعسفاً والسلام

ويجب أن تضطرد مسؤوليات الأولاد في هذا الأمر باضطراد نموهم فتزداد أموالهم الخاصة حتى تصبح جامعة شاملة لكل مطالبهم في حدود قدرة العائلة الاقتصادية . وعندما يكبرون يجب أن تكون لهم جميع الحقوق والمسؤوليات التي تترتب لهم في هذه السن . فتطلق لهم الحرية في اتباع ملابسهم وضروراتهم وما أشبهه ويزداد حظهم من المسؤوليات الملقاة على عاتقهم من نحو العائلة كلها وبذا ينمو فيهم الشعور بمسؤوليتهم عن خير الآخرين وسعادتهم ويشعرون أن أخطأهم تصيب الجماعة كلها بالاضرار المختلفة وكذلك يشعرون أن حسن سياستهم وتقديرهم وتديبرهم كانت سبباً من ضمن الأسباب في تقدم العائلة في مجموعها . يجب أن نسهل لهم السبل ليشعروا هذا الشعور ليس عن طريق الوعظ والكلام التي يظهر أنها كل بضاعة الوالدين . وهى قلما تأتى بفائدة . بل خير وسيلة لذلك فيما ندرى هى فى تلقينهم كل هذه الامور بالطرق العملية وعن طريق الخبرة والمران الشخصيين وبالحس وبالاشتراك الفعلى فى هذه الامور الاجتماعية

ويخطئ الوالدون كل الخطأ إذ يظنون أن تجنب الأخطاء والغلطات هو كل ما يجب أن يسعوا وراءه لان مثل هذا المطلب مستحيل النيل . وعلاوة على استحالاته من الوجهة العملية فليس مما يساعد فى تربية البنين الاخلاقية تلك التربية التى هى بيت القصيد . لأنه يدخل فى مثل هذه التربية عاملان مهمان الا وهما

الخطأ والصواب وكلا هذين الأمرين عامل بعيد الأثر وضرورى فى التربية الحققة وبانعدام أحدهما تفسد التربية من أساسها . ولولا الواحد منها ما كان الآخر يقول الأستاذ جورج كوى Coe فى هذا الصدد «وليس المهم فى الموضوع هو الحصول على النتائج المرضية بسرعة بل المهم هو نماء الشخصيات المستقلة الراغبة فى التعاون فبحرية التصرف فى أمواله الخاصة يضع الولد لبنة فى استقلال شخصيته . وبالإشتراك الفعال فى أمور العائلة الاقتصادية والاجتماعية تتقوى فيه الميول الاجتماعية كالتعاون وغيره

الحقوق والواجبات

يقول هودج (١) « إذا قام البيت على خدمة الولد وعمل له كل شئ فالطفل لا يعمل شيئاً ويتوقف نموه أو يتعطل الى أقصى حدود التعطيل » فيجب أن لا نؤغل فى تأكيد حقوق الطفل ايغالا يغطى على واجباته أو يحجبها — تلك الواجبات التى يحسن به أن يكون عارفها ومقدرها حق التقدير . ويحسن بنا أيضاً أن لا ننسى أن المسئوليات هى التى تخلق الرجال وليست الحقوق والامتيازات وأكثـر من هذا لا يحسن بالولد أن يعمل كل الأمور لأنها تعود عليه بالفائدة الشخصية فقط . أو بنسبة ما يناله منها من الفوائد سواء كانت هذه مادية أم معنوية لأن مثل هذه الدوافع فى الواقع منبعثة من غريزة حب الذات . وهذه وإن كانت ضرورية فى بعض الأحوال إلا أنها لا يمكن أن تكون الأساس الوحيد فى بناء الأخلاق . ومتى كانت هذه الدوافع للأخلاق أموراً شخصية فقط كان هذا ضد النظرية الصحيحة للفضائل . فهى تتميز كما قلنا بميولها الاجتماعية وليست بالذاتية المحضة . يقول ريتشارد مورس هودج (٢) « هل يستند الولد الى شعوره بذاته ام بالجماعة ؟ فالأمر الأول ذاتى والثانى غيرى . الشعور بالذات فوضوى . لأن الفوضوى هو من ينكر حقوق الجماعة على الفرد . فالطفل يدرج على الميول الفوضوية اذا ما غسل يديه لاحترامه لنفسه فقط . أو اذا كان مؤدباً لدوافع ذاتية فقط أو اذا ما كان صادقاً أو أميناً أو رحيماً لدوافع ذاتية لا غير . وحتى أن عمل كل هذه الأمور لينمى

(1) Parents and Their Problems., Vol. IV P. 238.

(2) "Parents and Their Problems., Vol IV P. 235—236

اخلاقه هو أو ليذهب الى الجنة عندما يموت . فتي كانت اللوافع لمثل هذه الامور فردية ذاتية فالولد فوضوى» وفي الحق اذا لم يكن لنظرية الرجوعية Recapitulation من عيب سوى انها تستند الى الفردية وتدعو الى توكيد حب الذات في الولد لكفى ذلك مبرراً لرفضها من وجهة الفضائل والاخلاق . ولكن لحسن الحظ أن هذه النظرية لم تجد من العلم دعائم ترتكز عليها

ولقد وضع الآن من الدراسات العلمية لطبائع الاطفال انهم يستطيعون أن يسلكوا انفسهم في سلك الميول الاجتماعية الحسنة والمرغوب فيها كما انهم يستطيعون أن يتشبعوا بالميول الفردية المرذولة . فكلا الامرين ممكنان . ويتوقف نمو ايهما على العوامل والمؤثرات التي تحيط بالانسان في طفولته . فمن الممكن اذن أن يتعلموا بالاختبار وبالمران وبالحس أن يقوموا بواجباتهم وبكل الخدم المستطاعة لعائلاتهم وبيوتهم . يقول الاستاذ جورج كو^(١) في هذا « ليس من شيء يوقظ في الولد محبة لوالديه أكثر من تشجيعه على أن يؤدي لها الخدمات المتنوعة . وليس ما يعمل له الابوان لأجله بمستطيع أن يحرك مكان العطف من قلبه نصف ما يعمل له من أجلهما » ويقول الاستاذ وجمال^(٢) ايضاً . « يشعر الطفل بالسعادة متى سمح له المربون بأن يتحمل بعض المسئوليات الصغيرة وخصوصاً متى شعر بأن اضطراره بها هو في الواقع خدمة يؤديها للعائلة فالاطفال يحبون كما انهم موضع الحب من الكبار وهم ايضاً يهتمون للآخرين كما انهم يتقبلون الاهتمام منهم » ويقول جورج وولتر فسك . « والتعاون في تأدية الاعمال المنزلية هو في الواقع ونفس الامر تحضير للطفل واعداد له ليتعاون مع الجماعة الكبرى »

والخلاصة أن النماء الخلقى يتوقف على ما يعمله الطفل بنفسه وعلى الروح التي بها يعمل . على هذين جميعاً يتوقف نمو الفضائل فيه لأنه بمقدار ما يخدم الجماعة عن شعور صادق وحب لهذه الجماعة ورغبة في خدمتها — بهذا المقدار عينه تزداد فيه الميول الاجتماعية وتنمو . فليس اذن الوعظ والكلام سوى وسيلة لربط المعاني

(1) Coe. "Social Theory of Religious Education,, Page 128.

(2) Weigle "The Trainig of Children in The Christian Family,, Page 43.

بالافعال وشرح ما يمكن أن يؤدي اليه النشاط . وهما في هذه الحالة يدخلان في باب الادراك والفهم . وأما الخلق فهو السلوك وهو النشاط . ولا يستطيع الطفل أن يتحلى بالاخلاق لمجرد فهمها أو ادراكها بل يلزمه أن يمارسها بالفعل ويمارسها برغبة ولذة . وهذا لا يتأتى الا بعد أن يسهل له الكبار السبل ليفعل ويعمل وينشط وبالاختصار فإن وضع بعض المسؤوليات على عاتق الولد يقوده الى النمو الاخلاقي علاوة على انه يقوى ربط العائلة ويجعلها وحدة شديدة التماسك

والامثلة على ذلك كثيرة نأخذ منها التعاون . فالتعاون اصطلاح ينطبق على كل مظاهر حياة الفرد الاجتماعية من اندماج في الجماعة والعمل معها والنشاط من اجلها . وهذا باب يصح أن يكون موضوعاً للدرس المستمر والبحث المستديم في المدرسة وفي الكلية والجامعة ويجب أن يكون كذلك . ولكنه لو اقتصر على هذا لصار مجرد نظريات يفهمها الطالب ويدركها . ولكن لا يترتب على فهمها وادراكها أن يتعاون الطالب بالفعل مع الجماعة ، ولكي يكون التعاون عنصراً من اخلاق الفرد يجب أن تتاح له الفرصة في حياته اليومية ليعمل ذلك بالفعل . والفرص لذلك كثيرة في المدرسة وفي البيت ففي المدرسة مثلاً يستطيع الطلبة التعاون في كل انواع الالعاب الرياضية وفي انشاء النوادي بأنواعها وفي القيام بالمشاريع الاقتصادية البسيطة . وحتى في العلم والتحصيل يستطيعون أن يتعاونوا في البحث وراء الحقائق وتوزيع نواحي البحث على أفراد الفرقة حتى يقوم كل منهم بقسطه في تنوير الجماعة

العقاب والضغط والرغبة

عندما تتكون الجماعة ويخلد افرادها الى العيش بعضهم الى بعض ينتج عن ذلك تضيق على حرية الافراد فلا يعودون قادرين على أن يتصرفوا في الامور كما يحلو لهم وبمحض ارادتهم فللجماعة حريتها ايضاً . وبالتالي لها حقوق يجب احترامها كما أن للافراد فيها حريتهم التي لا يجب المساس بها . ومتى تعددت الحريات بهذا الشكل — حريات الافراد وحريات الجماعات — فلا بد وأن تتعارض هذه الحريات جميعاً في أكثر من موضع واحد . وعند تعارضها لا يجب حرمان أى طرف منها كل الحرمان

بل على العكس يجب تنظيمها جميعاً لتنظيم الغرض منه افساح المجال لكل منها الى النهاية التي تسمح بها الظروف بشرط أن لا تجور احداها على الاخرى ولكن لا يغيبن عن الالذهان أن تنظيم الحريات هذا يجب أن يكون موضع تفكير عميق . فكل الحريات المتعارضة هي حريات ايضاً لها ما لغيرها من الاعتبار ، والتعرض لناحية منها هو تعرض لها في الصميم . فلا يجب تضيقها الا لاعتبارات من الحرية نفسها . فهي وان كانت محبوبة الا أن توزيعها بالعدل أعود على الجماعات والافراد

الضغط والاجبار Coercion

والآن لنبحث في الطرق التي تستعمل في منع الأفراد والجماعات من المغالاة في حرياتهم — تلك المغالاة التي هي في الواقع ونفس الأمر اساءة في استعمالها . فالضغط أو الاجبار هو احد هذه الطرق . فيضغط الفرد لكيما يخضع للجماعة مثلاً أو يقلدها ويحاكيها . ولكما يتنازل عن بعض حرياته من أجل الجماعة أو بعض الأفراد . أو بعبارة أخرى يضغط الفرد كيما يتنازل عن جزء من حريته الشخصية . ويجب أن يفهم المعنى المقصود من الضغط فهو اجبار الفرد بالطرق المعنوية على أن يسلك مسلكاً أو يأتي أمراً يتعارض مع ما يريد فالضغط أو الاجبار اذن هو حالة من حالات النفس حيث يضطر الفرد لأن يقبل في الظاهر نوعاً من السلوك يرفضه ويشور ضده في قرارات نفسه . ويجب أن يلاحظ ايضاً ان لاموضع للرغبة مطلقاً في مثل هذه الحالات لأنها منعدمة اصلاً والا لما لجأ المرء اليه . فليس الضغط اذن تنظيماً للحرية ولكنه في الواقع خنق لها . وهما اذن ضدان لا يجتمعان

والأجبار في حالتنا نحن البالغين شيء عادي نختبره في كل حركة من حركاتنا فلا تكاد تمر دقيقة من حياتنا من دون أن نضطر لبعض الأمور . حتى وان كان الاضطرار يكاد لا يشعر به ولكن معظم البالغين عندهم قوة التمييز فيخضعون للقوة القاهرة من غير أن تتسم حياتهم ومن غير أن يلوموا أحداً في جميع الحالات . لأننا نعرف بالاختبار مدى القوى حوالينا — تلك القوى التي تحول مجرى حياتنا اليومية

وبعض تلك القوى طيعى ليس لانسان فيه يد . نحن نعلم أن هذا أمر واقعى
فنخضع من دون تدمير أو تمليل

والأمر بخلاف ذلك مع الأطفال . فالضغط في نظرهم منسوب الى الافراد — الى
الآباء والى الأمهات . ولأن خيالهم لم يصل مداه بعد فتراهم يعجزون عن التمييز
بين أنواع الاضطرار . لا يستطيعون أن يفهموا أن ليس لوالديهم رغبة فى احراجهم
لمجرد الاحراج . لا يدرون أنه فى طبيعة الوجود لا يمكن أن يكون للافراد ما يحلو لهم
من الحريات . وأن للطبيعة نظاما تسير عليه وتكره الناس للسير عليه فليس للفوضى
عندها نصيب . لا يشعر الأطفال بهذا وانما نحن ندرج على الزعم أنهم له عارفون
ويجب لذلك أن يخضعوا . نفترض فيهم المعرفة ولا نكلف أنفسنا مشقة الملاينة
والاقناع والصبر حتى يرى الأولاد لانفسهم ما يجب أن يفعلوه . ومن هذا
تنشأ كثير من الصعوبات التى كان من المستطاع تجنبها بقليل من الروية والصبر
ومن هذا أيضا يوقر فى اذهان الأطفال أن مجرد الاحراج والاجبار هو ما يرغب
فيه الوالدون والسلام ويشعرون أن رغباتهم مهمة كل الاهمال فلا وزن لها
ولا قيمة . ولنلاحظ أنهم ليسوا فى حاجة إلى الاجبار الا لأن الرغبة منعدمة
اصلا من نفوسهم ولانعدامها يتولد فى نفس الطفل كراهية شديدة لمن يرغبه
وكراهية أشد للعمل الذى عليه يرغب . والنتيجة لذلك أن الطفل يثور فى قرارات
نفسه ويتحين الفرص ليسخر من الفعل نفسه ومن يرغبه على الايتان به

والولد المضطر لأن يفعل أمراً أو لأن يتركه ينسى كل الاعتبارات الأخرى
ولا يذكر سوى حقيقة واحدة وهى أنه مضطر وإن الاضطرار آت من
اناس كبار بالغين لاحيلة له فى ايقافهم عند حدودهم . ولأنهم أكبر منه سناً وأقوى
عضلا فهم يحملونه حملاً لأن ينزل عند ارادتهم ولأن يفعل ما يرغبون فيه هم
بغض النظر عما يريد هو

وهذا خطر الاضطرار فقوانين علم النفس أو ما يسمونه بقانون النتيجة
The Law of Effect فى هذا العلم ينطبق على هذه الحالة . فينتج من ذلك كراهية
للفعل بالذات . لا يستطيع الاضطرار أن يوقظ الرغبة . فاذا كان الفعل من مقومات الخلق

انعدم الميل اليه وحب الطفل له . والميل والحب لبعض انواع النشاط هو بالذات ما يجب أن نهتم له من الناحية الاخلاقية . يقول بركسون (١) « أن الاضطراب مضاد لكل شيء ديمقراطي فهو يجعل الانسان تابعاً لارادة خارجة عنه ويعطل من امكانيات الفرد الى اقصى حد ولا يترك مكاناً للشعور بالمسئولية . ذلك الشعور الذى هو بمثابة العمود الفقرى للاخلاق » وعلى هذا نجد انفسنا مضطرين لأن نرفض مبدأ الارغام فى التربية لاننا نجده لا يتفق ونظريتنا فى الاخلاق . فاضراره بها اكثر من فوائده . وعلى هذا فاننا نرى انه من المستحسن أن لا يتبع هذا المبدأ الا فى القليل النادر اذا لم يستطع الوالدون أن يتركوه تركاً قاطعاً باتاً

يقول الاستاذ ديوى (٢) « لما كانت الغايات ابعد من أن يفهمها التلاميذ يبحث الانسان عن الوسائل التى يضطرهم بها لأن يتبها لتلك الغايات فيحصل على بعض النتائج . ولكن لما كانت رغبات الاطفال وميولهم لم تبعاً لاداء هذه الواجبات تأخذ هذه الرغبات وتلك الميول فى البحث عن مخارج اخرى » ويقصد ديوى بذلك أن واجب الطفل يصبح فى واد ورغائبه وميوله فى واد آخر . وقديماً قال افلاطون أن المعرفة التى يحصل عليها الانسان عن طريق الاجبار لا تمكث فى العقل طويلاً

١ - وبالاختصار اننا لا نجد أن للاضطراب فائدة كبيرة فى التربية الاخلاقية لابل نرى أن الرغائب والميول تتحول تحت الضغط الى ما من شأنه أن يعطل النمو الاخلاقى والادنى فى الطفل

العقاب

للعقاب مناح كثيرة لا نستطيع بحثها فى هذا المجال فمنها العقاب الانتقامى ومنها التأديبى . وثمة طرق كثيرة له . ومن هذه ما يتناول العقاب البدنى ثم المعنوى ومظهر هذا الاخير الالم النفسانى . ومنها العقاب الاجتماعى ومظهره عدم رضاء الجماعة عن سلوك الفرد

(1) Berkson " Theories of Americanization ,, Page 43

(2) Dewey " Democracy and Education ,, Page 209.

والمؤلف يصرح لأول وهلة انه لا يرى للعقاب الانتقامي فائدة ما وخصوصاً مع الاطفال فلما نقبل النظرية القائلة أن العدل يتطلب العقاب للعقاب نفسه لسنا نحفل بالزعم أن العدل اعمى لانه اذا كان اعمى كما يزعمون فليس لنا به شأن من وجهة التربية ، حقاً أن الطبيعة تنتقم ممن يخطئون . ليس من ينكر هذا ولكن انتقام الطبيعة ليس يترتب فيه حتماً أن يكون من عوامل التربية في كثير من الحالات فلا يجب أن تتبعها مغمضى العيون

فمثلاً تحكم الطبيعة على الطفل الذي يلعب بالنار بالهلاك حرقاً في بعض الحالات فماذا تعلم هذا الطفل المسكين من الطبيعة ؟ وماذا استفاد ؟ وعقاب مثل هذا قد يجوز أن يكون عدلاً من وجهة الانسانية عامة ولكنه ليس عدلاً للطفل ذاته. فليس على الوالدين اذن أن يأخذوا فعل الطبيعة قضية مسلمة أو يقلدونها تقليداً اعمى . فهي تنفذ قوانينها بغض النظر عما يحدث للأفراد بينما يجب على الوالدين أن يهتموا بما يحدث للأولاد بغض النظر عن مصير القوانين لأن القوانين جعلت للانسان ولم يخلق الانسان للقوانين والفكرة الدينية في العقاب تبحث فيه من وجهة نظر الآلهة للخطية . وهي بطبيعة الحال قد نشأت من التأمل في قوانين الطبيعة التي تعاقب من يعتدى عليها عقاباً سريعاً يقول سترونج في هذا (١) « وليس الغرض من العقاب اصلاح المذنب أو تأمين الجماعة البشرية أو الحكومات على حياتها ورفاهيتها . ولكن غرضه في الواقع ونفس الامر هو الانتقام للعدل المطلق ولطبيعة بارى الكون » اليس هذا الزعم في الواقع انزالاً للآلهة الى مصاف القوى الطبيعية العمياء ؟ اليس هو في آخر الامر عصباً لا عين الآلهة عن أن ترى ما يكتنف الانسان المسكين من العوامل التي لا قبل له بها ؟ وعلى أى حال فان زعماء كهذا لا يأخذ به ارباب التربية الحديثة في هذا العصر ولا يقيمون له وزناً في حسابهم . فلو أخذنا بهذه النظرية في معاملتنا للاطفال لما كان لها معنى سوى أن الاطفال خلقت لتكون لعبة للاقدار وللآلهة يتسلون بها

وبالاختصار فاننا ندعو الى أن يكون العقاب مفيداً ومانعاً وليس للانتقام بوجه

(1) Strong " Systematic Theology ,, P. 350.

من الوجوه أو للقصاص في ذاته . ومتى ظهر للوالدين في حالة بذاتها انه لخير الطفل أن يترك من دون عقاب على ما اقترف فمن واجب الآباء والمربين الا يعاقبوا أو يقتصوا . ولحسن الحظ أن هذا في الواقع ما أخذت به محاكم الأحداث في البلاد المتحضرة

ويحسن بالآباء أن يلاحظوا أنه من المستحسن أن يكون العقاب منفصلاً عن شخصياتهم بمعنى أنه يجب أن يحرصوا على أن الأطفال لا يجمعون بين فكرة العقاب ووالديهم أو مربيهم ، يحسن في كل الحالات أن يفهم الطفل أن العقاب خارج عن طوق الوالد أو المربي . وليس يهم في هذا ما يحول بخاطر المربي نفسه بل المهم ما يفهمه الولد نفسه إن خطأ أو صواباً . وبعبارة أوضح يجب أن يؤخذ بيد الطفل ليرى بنفسه أن العقاب لم يكن سوى نتيجة طبيعية لتصرفه هو كالحال في احتراق أصبعه عند ما يضعه في النار . وليس لأن الأب يفعل ذلك بمحض ارادته ورغبته . أما اذا لم يكن ثمة ما يساعد الطفل على أن يفهم أن العقاب هو النتيجة الطبيعية للتصرف فيحسن أن يترك من غير قصاص بالمرة

العقاب البدني

لسوء الحظ أن هذا الضرب من العقاب ما يزال فاشياً في بلادنا . وقليل جداً هم الذين يفهمون أن لافائدة ترجى من تعذيب أبدان الأطفال بالضرب . وكثيرهم الذين يتبعون هذا النوع من المعاملة كأن هؤلاء يؤمنون أن الاخلاق نتيجة للآلام والخوف أو الرعب والتعذيب البدني . أو كأن الاخلاق شجرة يجب أن يتعهدوا المربي بالفروع فتتمو وتمد أغصانها وتؤتي أكلها . وما دروا أن الخوف في ذاته آفة من آفات الأخلاق التي تفتك بها فتكا ذريعاً

وكثيرون من مفكرى الأزمان الغابرة يدعون الى مثل هذا الضرب من الفلسفة فسلیمان الحكيم دعا اليها كما هو وارد في التوراة . وأما افلاطون وارسطو فقد لا يحجمان عن استخدام الهراوة . ولكن مفكرى العصور الحديثة يترددون كل التردد في استعمال العصا إن لم يحجموا عن ذلك كل الأحجام يقول بلوتارك « انى اصرح أنه يجب أن يؤخذ بيد الأطفال بالحسنى حتى يستطيعوا أن يتخلقوا

بالأخلاق الفاضلة. ولكن لا يجب مطلقاً أن يكون ذلك بالضرب والصفع والمعاملة القاسية « ويقول ثورندايك (١) » قد يجوز أن ينتج خير فيما لو ضربت الطفل على يده في كل مرة يمدّها الى أمر غير مرغوب فيه. قد يكون في مثل هذا التصرف فائدة ولكن ما لا يمكن أن يكون منه فائدة أبداً هو أن تضربه لأنه سود كراسته بالمداد. فمثل هذا خشونة وفظاظة» ففي المثل الأول من أمثلة ثورندايك يحصل التداعي بين فكرة الألم والرغبة في إتيان الأمر المكروه فعندما يشرع الطفل في ارتكاب المخالفة تنطلق فكرة الألم في خلايا مخه في نفس الوقت فيشعر أن لا رغبة له في هذا العمل. ومثل هذه الحالة هي ما يسميه النفسيون بالأفعال المنعكسة Conditioned Reflex فليس هو إذن داخلاً في باب العقاب وسنبين ذلك في فصل تال عندما نتكلم عن قانون الارتباط الشرطي The law of Conditioned reflex واثنا نرى رأي ثورندايك وبلوتارك في العقاب البدني من أنه أمر ثقيل وانه من الامور الوحشية. ونقصد من العقاب البدني الضرب خاصة لانه لو كان للطفل من القوة المادية ومن الشجاعة وعزة النفس لما سمح بالعقاب على هذه الطريقة ولما اجتراً أحد على مثل هذا الأمر. فالضارب إذن يثق مقدماً بعجز المضروب عن المقاومة ويستتبره سواء أكان يشعر بذلك أو لا يشعر به. وفي الواقع هذا هو الحاصل بالذات لاننا نندر أن نرى أحداً يعاقب الأقوياء والشجعان من الأولاد بهذا النوع من العقاب. فالأولاد الذين هم في دور الفتوة والقوة لا يفكر أحد في ضربهم ليس لأنهم لا يستحقون العقاب مطلقاً بل لأنه لا يجزأ أحد حتى والديهم أن يعذبوهم في أبدانهم وإن خطر هذا لأحد ببال لرد الولد الاعتداء المادى بمثله كما يحصل في كثير من الحالات. والحال بخلاف ذلك تماماً مع الصغار المساكين فلا أنهم تنقصهم القوة تراهم معرضين للكم والصفع والضرب تحت ستار التريية والتأديب والتقويم. والحال أن كل مادفع الكبير للضرب ليس شيئاً سوى أنه تملكته سورة من الغضب

(1) Thorndike " Education ,, Page 202.

يقول مارشال (١) « لقد اقتنع علم الأجرام الحديث ان ضرب الآدمي في الواقع ليس شيئاً سوى اقرار صريح من المربي بفشله وعجزه . فماذا يقال اذن في اذلال الأطفال وكسر نفوسهم عند ما يضربون وبخاصة متى كان الضارب هم الوالدون وليس غيرهم؟ فليس يصح عقلاً أن رجلاً أو امرأة يضرب في حالة غير حالة الغضب » والاباء الذين يدعون أنهم يتألمون لضرب أولادهم أكثر من آلام الأطفال انفسهم يغالطون انفسهم في الواقع لأن هذا نوع من خداع النفس Rationalization ليس غير . يقول مارشال في هذا ايضا « يضرب الناس أطفالهم لأنهم غاضبون ، ويغضبون اما لأنهم عجزوا عن اكتساب ثقة الأطفال وحبهم أو لأنهم لا يهتمون لاكتساب هذه المملكات التي تساعد على تربية أولادهم . ولذلك تراهم يتبعون اسهل السهل . والعصا هي مفتاح ذلك السيل السهل المعبد » فالأطفال اذن يضربون لأن الآباء مغضبون أو لأن هؤلاء الآباء لا يعلمون ماذا يفعلون سوى أن ينهالوا بالعصى على ظهور أطفالهم ، وبعبارة أوضح تذلل نفوس الصغار ويعذبون لسبيين اثنين وكلا السبيين من اخطاء الوالدين فهم يضربون اما لجهل الآباء أو لقابليتهم للانفعال والاضطراب النفساني الشديد . يقول ماك كن (٢) « ليست تغرس الاخلاق في نفوس الأولاد بمبادئ العقاب وقوانينه وعلى هذا فيحسن بنا أن نلجأ إلى الوسائل الايجابية في التربية — تلك الوسائل التي هي اعود الاشياء على التربية والتأديب » /

وليس من ينكر أن الآباء يستطيعون أن يحلوا بعض مشاكلهم بعقاب الأطفال ولكن ليس من ينكر ايضاً أن العقوبات البدنية لا تعود بفائدة على الاخلاق . ففي آخر الأمر يتضح أن العقاب يحل بعض معضلات الآباء والمربين . وهذه المشاكل هي في معظم الأحوال كيف يحملون الأطفال على أن يقوموا ببعض الأمور أو يمتنعوا عن البعض الآخر . أما مشاكل الولد نفسه فيتركها العقاب من غير أن يحاول إيجاد حل مرض لها بل في الحقيقة يزيد لها تعقيداً على تعقيد . فبعد ان

(1) "Parents and Their Problems,, Vol. VIII P. 287—288.

(2) Mac Cunn "The Making of Character,, Page 158.

كانت مشكلته أنه يكذب مثلاً تصبح الكذب ومحاولة النجاة من العقاب أو الكذب والخوف من والده . والاثنان من النقائص الاخلاقية ويجب أن لا ينسى الآباء والمربون عند ما يهيمون بضرب أطفالهم قول هوبهوس الفيلسوف الانجليزى « نحن لا نقص من المذنبين لأن القصاص عدل بل لأننا فى الواقع نكرهم أو نخشاهم . ثم نحوك من البغضاء والخوف نظاماً من الاراء والافكار تصور لنا أن آلام المذنبين هى نتيجة طبيعية لذنوبهم كأنه ليس للشخصيات أو التحزبات دخل فى الموضوع بالمره »

الشوق Interest

لقد يسأل سائل ماذا نفعل إذن لما يكذب الطفل أو لما يتعود على سرقة بعض الأشياء الصغيرة أو الكبيرة فى البيت ويدهها أو إذا كان شديد الأثرة محباً لنفسه قليل الاكتراث للأشياء ومجرداً من الميول الايجابية الاجتماعية ؟ لقد سلطنا جدلاً أننا عرفنا ما يجب أن لا نفعل ولكن لم يذكر لنا المؤلف ماذا يجب أن نفعل . وبعبارة أخرى يريدنا هذا السائل على أن نكون عمليين أكثر مما كنا يرغب فى أننا نترك النظريات قليلاً بعد أن أطلنا فى شرحها بعض الاطالة أو بالحرى يريدنا على أن نأخذ ببعض الحالات الخاصة فنيين ما يمكن أن يعمل فيها ولكن قبل أن نطاول السائل فيما يذهب اليه يحسن بنا أن ننظر فى مسألة أخرى لأنها وإن كانت نظرية الى حد ما فإن لها اتصالاً مباشراً بالأمور العملية ثم لها من الحيوية والقوة ما يجعلها من العوامل الأساسية فى بناء الاخلاق وهذه القوة هى « الشوق » . وهو أحد الدوافع النفسية الفعالة وعليه يبنى كثير من أصول علم النفس التجريبي وخصوصاً التجارب التى أجراها واطسون السلوكى Behaviorist . والتى يرى برتراند رسل أنها من خير ما توصل اليه علم النفس الحديث من القواعد والنتائج

لقد خطر للاستاذ ليتون مديركية ايتون سابقاً أن يعقد مقارنة بين التربية التى تستخدم الضغط والارغام وبين تلك التى تستخدم الشوق فقال « نجد أن أحدها إذ تنجح لا بد وأن تكون قد استعانت بالأخرى . » ويقصد بذلك ان نجاح الشوق

في التربية مثلاً متوقف على مقدار ما يستعيره من الارغام . ويبنى الاستاذ ليلتون نظريته على الزعم بان الانسان كثيراً ما يضطر لان يخلق رغائبه وأشواقه في سبيل واجبه . ثم يزعم ان هذا ما سيحدث للطفل في حياته المقبلة ولا مفر له منه ان كان ذا أخلاق فاضلة . ويستخلص من ذلك انه لا مفر من استعمال الضغط والارغام في التربية حتى نعد الاطفال لما سيحصل لهم في مستقبل حياتهم . فالارغام والاجبار في نظره من مستلزمات التربية الصحيحة حتى يتعود الطفل ان يكبح جماح شهواته عند ما تتعارض مع واجباته

ولكننا نظن ان هذا الزعم لا يقوم على أساس من الواقع لأننا لو أنعمنا النظر فيه لوجدنا انه قائم على زعم فاسد هو الآخر من أساسه الا وهو ان الواجب في جوهره خارج عن دائرة الرغائب والاشواق . ولنا تأخذ بهذه النظرية أصلاً لأننا نعتقد ان الواجب هو في الواقع في دائرة الاشواق والرغائب ويمكن المربين ان يجعلوه كذلك من الاصل . فالفتى الذي يؤدي واجبه لا يعدو عن ان يكون قد قام بما تفرضه عليه ميوله ورغائبه . وليس حتماً ان يكون مضطراً لذلك اضطراراً اما القطيعة والعدوان اللذان قد يحدثان بين الواجب والرغبة هي في الواقع قطيعة وعدوان بين رغبتي كل منهما تجذب الفرد لناحية معينة .

ولكى نزيد هذه المسألة ايضاحاً دعنا نضرب لذلك مثلاً . يريد شخص معلوم ان يذهب الى دار التمثيل ليشهد قصة سمع عنها وأخذت تميل نفسه لمشاهدتها . هذه رغبة أو شوق تتطلب العناية والالتفات ولا يسع الفرد الا ان يسعى الى اشباع تلك الرغبة . فيزمع ان يفعل ويجمع أمره على الذهاب . ولكن بينما هو آخذ في هذا الامر يعترضه واجب يجب ان يؤديه لانه أيضاً يتطلب الاداء في نفس الوقت . فهذه الحالة لا تعدو عن ان تكون ان هذا الانسان يرغب ويشاق لان يعمل الامرين في نفس الوقت . فهو يرغب في ان يذهب الى الاوبرا . وهو يرغب أيضاً في ان يؤدي واجبه

ويحسن بنا عند هذا الحد أن نذكر انفسنا أن الرغبة ليست شيئاً سوى الاستجابة لاحد الدوافع النفسية ، وتعدد الدوافع النفسية ينتج تعدداً في الرغائب . فما كان

منها أقوى وأشد نفذ وتغلب . وما كان منها أضعف قهر على امره . وليس معنى هذا أن الرغبة المقهورة تذهب من غير أن تترك أثراً لأن قمع الرغبة أياً كانت ليس امراً سهلاً ميسوراً . ولكن هذا لا يطعن في أن اقواها تطغى على اضعفها فإذا كان هذا الانسان ممن تعلبوا أن يربطوا بين رغائبهم وواجباتهم فلا بد وأن يذهب لاداء هذا الواجب ويكون في هذه الحالة قد استجاب لأقوى الرغائب عنده . وعمل الواجب في حالته لا يعدو أن يكون اجابة لداعى الرغبة التى هى كما قلنا اشباع للدواعى النفسية ، ومن هذا نرى أن الواجب ليس فى الحقيقة ضرباً من الضغط والارغام كما يزعم الاستاذ ليتلون فيما نقلناه عنه

فالطفل الذى يرغم ضد رغبته على أن يؤدى واجبا يكون فى الواقع عرضة للافساد لأنه فى هذه الحالة يكون القائمون على امره قد دفعوا اشواقه ورغائبه على أن تتحول عن واجبه . أو بعبارة أخرى يكون هؤلاء المربون قد أقاموا سداً منيعاً بين اشواق الطفل وواجباته . ويصير الواجب فى عرفه شراً ايس منه بد ثم انه سوف يركل هذا الواجب بقدمه عندما يشعر باستقلاله عن مربيه والقوامين عليه . وخير ما يعمل فى مثل هذه الحالة هو أن يأخذ المربون انفسهم على أن يساعدوه ليوجه رغائبه وميوله ناحية الواجب وليس فى اتجاه مضاد له . ثم يتعهدون هذه الاشواق بقواعد علم النفس حتى تعتاد خلايا مخه على مقاومة الميول التى تتعارض مع هذا الواجب

وإذن فليس للضغط أو الارغام ما يجعله صالحاً لبناء الاخلاق الا متى كان فى إمكان الضغط أن يتحول الى رغبة اثناء نشاط الفرد وسعيه . وهذا ليس من المستحيلات . فقد يحمل الطفل على اتيان امر يصير فيما بعد من تلقاء نفسه رغبة كالحال فى تعلم الموسيقى مثلاً حيث يضطره ابواه لأن يعزف على البيانو اضطراراً قد يتحول فى المستقبل الى رغبة وشوق للعزف . نقول ليس هذا مستحيلاً ولكنه من الامور القليلة الاحتمال فى معظم النواحي الاخرى

وعلى هذا نستطيع أن نقول فى ختام هذا البحث أن نجاح التربية الأخلاقية يتوقف على الأكثار من الدوافع النفسية لها . أى أن الاشواق والرغائب هى من

أفعل العوامل التي يمكن أن نستعديها على النقائص الاخلاقية . وهذا يظهر لنا أنه الصواب والحق من الوجهة النظرية على أقل تقدير .

فاذا كانت التربية الاخلاقية هي كما يقول الاستاذ هل Hill « ليست شيئاً سوى تكوين الرغائب والأشواق الأدبية » فقد انفتح طريق التأديب والتربية أمام الوالدين . وقانون علم النفس الذي استخلصه ثورن دايك هو من خير القوانين التي تستطيع أن تؤلب كل قوى النفس ضد النقائص الاخلاقية . وهذا القانون يعرف في علم النفس بقانون « المران اللذيذ » Practice with Satisfaction ومحصله أن كل مران ينتج لذة للكائن الحي من طبعه أن يميل الى الاعداء والتكرار مادام لا يجد مقاومة من البيئة أو من طبيعة الكائن ذاته . ويتيح من ذلك أن خير فلسفة للأخلاق هي ما تأسست على الرغبة وليست على الارغام . ويجب أن لا يغيب عن بال المربين أن الغرض من التربية ليس حمل الصغار على اتيان أمور بذاتها . بل هو في الواقع خلق بعض الميول والرغائب التي تجعل الطفل يميل لأن يفعل هذه الأمور من تلقاء نفسه . ونستطيع أن نقول إذن أن الرغبة أو الشوق هو من الزم العوامل لبناء الأخلاق

مسائل عملية

الكذب

والآن لنعد الى الأمور العملية ان كان مافات ليس عملياً محضاً . ولنحاول أن تطبق مافات على حوادث معينة بذاتها لنرى هل منها عائدة على الأخلاق وهل لها اتصال بحياة الأطفال اليومية أم هي مجرد محاولات منطقية لاتمت للواقع بصلة . ولنأخذ الكذب مثلاً

ماهو الكذب ؟ هذا هو السؤال الذي يجب ان نستهل به بحثنا لانه على مقدار فهمنا لهذه المسألة يتوقف كثير من صلاح الطرق التي نأخذ بها من عدمه . فان كان الكذب هو الاختلاف بين حقائق الأمور في ذاتها (موضوعياً objectively) وبين وصفنا لها فكلنا يكذب ولا حيلة لنا في الكذب . والعلم أيضا يكذب ولن يزال يكذب الى ما شاء الله والفلسفة هي الاخرى تكذب ان لم تكن في الواقع أكثر امعاناً فيه من العلوم

ولكننا نعني بالكذب عادة محاولة اظهار الامور على غير حقيقتها . أو بعبارة أخرى هو ان يقصد الانسان ان يعطى صورة مغلوطة عن بعض الوقائع وهو يعلم في نفس الوقت ان تلك الصورة في الحقيقة مغلوطة . هذا هو ما يقصده العرف في تحديد معنى الكذب . وعلى أى حال فايضاح الفرق بين الكذب المقصود والغير مقصود ينفعنا في حالتنا هذه . لان كثيرين من الآباء والمربين لا يكلفون أنفسهم مشقة التفريق بين هذين النوعين . ففي رأى أغلبهم ان الولد يكذب في كل حالة لا يتفق قوله فيها مع الحقائق كما يراها غيره أو كما يرونها هم على التخصيص . فهم لا يحاولون النظر الى بواطن الامور . وكل اختلاف مع الواقع هو في نظرهم كذب

يجب على الآباء والمربين بداية ذي بدء ان يفرقوا بين الجهل بالامور والكذب فقد يجوز ان يكون قول الطفل منطبقا على الحق من وجهة نظره حتى وان كان مغايراً للواقع من وجهة نظر الآخرين . وفي مثل هذه الحالة يكون الطفل صادقا فيما يقول لانه ما هو الحق والصدق ان لم يكن علاقة الآراء بالاشياء في نظر انسان معين ؟ وعلاقة الشيء بالفكرة هو أيضا من حق الطفل يتصرف فيه الى حد محدود وتبعاً لمداركه وقدرته على النفاذ الى ماتحت الظواهر فاذا أصر الآباء والمربون على ان لا يسمعوا سوى الصدق والحق فليطلبوا الصدق والحق من أناس آخرين غير الأطفال فليذهبوا الى الفلاسفة لهذا الغرض مثلاً . وانا نشك في مقدرة هؤلاء أيضا على اظهار الحقيقة كما هي

ثم على الآباء أيضا ان يفرقوا بين الخيال والكذب الصراح . فالانسان في دور الطفولة ليس أبعد منه عن الموضوعية . فالدنيا حواليه هي جزء منه . وليس يستطيع ان يميز بين الاشياء المحيطة به وبين شعوره الداخلي . فلم تتعين الحدود بين الحقيقة والخيال في هذا الدور وكلا الحقيقة والخيال في قرارة نفسه شيء واحد . يقول أوجدون (١) « هنالك من الأسباب ما يحمل على الظن أن الطفل في الصغر يعجز عن التمييز بين الادراك والتخيل لانه لم يقم الحدود بينهما بعد كما هي الحال

(1) Ogden "The Meaning of Psychology", Page 134.

مع الكبار . وهذا التمييز بين الواقع والخيال هو أحد الفروق بين دنيا الأطفال ودنيا البالغين » وعلى هذا فالخيال أو الشعور الداخلى فى نظر الطفل هو حقيقة مستقلة منفصلة عنه . ووصفه لذلك الخيال هو غاية ما يصل اليه فى محاولته أن يصف الأمور وصفاً موضوعياً . يقول جرونبرج (١) « يستحيل على الطفل أن يميز بين ما ندعوه حقيقة وبين الخيال قبل أن يصل الى الخامسة من عمره . فالى أن تتأكد أنه يستطيع التمييز بين هذين الأمرين لاتعلق أهمية أدبية على قصصه ورواياته » ومع ذلك فكثير من الآباء يجعلون أطفالهم مسئولين أخلاقياً عن تلك القصص والروايات

فيظهر من هذا أنه فى كثير من الأحيان وخصوصاً فى عهد الطفولة لا يصح للآباء والمربين أن يتطلبوا من أبناءهم أن يكونوا صادقين فى جميع الأحوال . ليس يحسن بهم أن يخلطوا بين الادراك والاخلاق ، بين الفضائل والذكاء . تقول مارى وودالين (٢) « ليس الصدق عاطفة ، وليس هو غريزة أدبية ، بل هو فى الواقع مجهود عقلى لادراك الأشياء على حقيقتها ، ومجهود آخر للتعبير الدقيق عن هذا الادراك »

ومع ذلك فى حالات الكذب الصراح لا يجب أن يتعنت الآباء مع أطفالهم فى أمرهم أنفسهم فيه مذنبون . فاذا كنا نكذب بالايمان والشمائل ، ونكذب فى الأمور التافهة بحكم العرف ، فكيف يسوغ لنا أن نحرّم على الأولاد ما نحلل لأنفسنا . ليست هذه دعوة الى التسامح مع الاطفال فى الكذب ، ولا نقصد بها تشجيعهم فى هذا بل كل ما نرمى اليه هو الحملة على الكذب فى أصله ، الى مهاجمته فى الكبار البالغين قبل الصغار اليافعين . والمقصود من كل هذا هو تحريمه على الكبار بداءة ذى بدء . واصلاح الجماعة قبل اصلاح الطفل . وتنقية البيئة التى نطلب اليه أن يعيش فيها ويبرزها فى الاخلاق

أما الدكتور هادفيلد فيذهب الى أكثر من هذا . فهو يزعم أنه يجب على الصبي

(1) Parents and Their Problems,, Vol IV P. 161

(2) ,, ,, ,, ,, ,, III P. 115

في بعض الحالات الا يقول الحق أى أنه ليس فقط يحل له ذلك بل يحسن به أن لا يقول الصدق في مثل تلك الأحوال . ويذهب هادفيلد في منطقه الى أن الصبي في بعض أطوار حياته يأخذ نفسه بالمران على الأخلص للجماعة التي ينتمى اليها وللشلة التي هو أحد أفرادها . فاذا حمل على قول الصدق حتى ما يمس رفاقه منه ، فقد أودى في ملكاته الاجتماعية . فيسهل عليه في مستقبل حياته أن يخون رفاقه وعائلته ووطنه لدوافع ذاتية . ثم يقول هادفيلد « ينتج من ذلك أن لكل طور من أطوار الحياة معايير خاصة للأداب والأخلاق ... فيحسن بالصبي في الرابعة عشرة من عمره أن يمتنع عن قول الحق من أن يخون رفاقه وأخوانه ... لأن الصبي الذي يتسلل من صفوف شلته في الثالثة عشرة من عمره يخون مبدأه ووطنه بنذالة في مستقبل حياته »

ونحن نرى ما لهذا الزعم من الصواب . فلخير للصبي أن يسكت عن الحق من أن يخون رفاقه . هذا مقبول . ولكن هذه الوجهة السلبية من الحق توشك أن تكون ايجابياً للكذب فينبها وبين الكذب الصراح خطوة قصيرة . وما أسهل على الطفل حينئذ أن يخطوها فيكون من الكاذبين .

وعلى أى حال لقد فات هذه المدرسة أن الصبي في مثل هذه السن مطلوب منه أيضاً أن يروض نفسه على الأخلص للحق وللবাদى وليس فقط للرفاق والأخذان فكما أنه عرضة لخيانة الجماعة اذا هو عرضها للامام بقول الصدق ، فهو أيضاً عرضة لأن يخون المبادئ والأخلاق اذا هو لم يشتد في التمسك بها . ثم أن المؤلف لا يفهم فيما يتعارض هذان النوعان من الأخلص في أى وقت من الأوقات وهل الأخلص شيئان وحقيقتان أم شيء واحد وحقيقة واحدة ؟ ثم فيما الخلط بين التسلل والصدق ؟ هل من مستلزمات الصدق أن يهرب الانسان مما تتعرض له جماعته ؟

ومن الجهة الاخرى يحسن بالآباء أن لا يرتكبوا لمثل هذه الامور التافهة كثيراً . كأن يكذب الولد أو يمتنع عن قول الصدق . ولست أقصد بالامر التافه الكذب في ذاته . فالكذب أمر عظيم . وانما نقصد بذلك فشل الصبي في بعض

اطوار حياته لأن يأخذ نفسه اخذاً مطلقاً بقول الصدق . فالتفاهة هنا تنصب على عجز الولد وليس على الكذب . وحصل القول في هذه النقطة أن الأكاذيب المتقطعة التي يمارسها الأطفال أحياناً ليس من شأنها أو لا يجب أن يكون من شأنها أن تحزن الوالدين الحزن كله أو تربكهم على غير طائل . فكل ما يحتاج اليه الصبي للتغلب على هذا الظرف هو قليل من الادراك والفهم وكثير من العطف والعون وليس أفعل من الصبر والاناة والحكمة في اقتلاع هذه النقيصة من جذورها . ويحسن بالمربين ان لا ينسوا ان العجز والفشل الذي يتتاب الاطفال هو من مستلزمات الطبيعة البشرية ومن مميزاتها أيضاً . وبالعجز والفشل ، وبالمداومة على التغلب عليهما وصلت الانسانية الى ما وصلت اليه . وبهما معاً ستصل الى ما هو مقدر لها في عالم الغيب

بعد هذه المقدمة في ماهية الكذب نبحت قليلاً في الدوافع له . قد يكذب الصبي للخوف أو للفائدة التي تعود عليه منه سواء أكانت هذه الفائدة مادية أم معنوية . ويذهب الدكتور بنزيون ليبير في هذا مذهباً متطرفاً . فهو يزعم ان ليس للكذب سوى احد سببين اثنين لا ثالث لهما . فاما انه يكذب لشيء يعود عليه منه أو يظن انه يعود عليه . أو يكذب خوفاً من أمر كأن يكون عقاباً أو ما هو في مثل العقاب . وعلى هذا فتى اتنى ربح الصبي من الكذب فهو يكذب للخوف . ومتى اتنى الاثنان فلن يكذب مطلقاً . ولا يستطيع ليبير ان يفهم كيف يختار الصبي الكذب اذا تساوى في نتائجه المقدرة مع الصدق . متى تساوى الامر ان فليس يعقل ان يجنح الصبي للكذب

وفي الحق ان المؤلف يرى في هذا المذهب كثيراً من الحق والصواب والمنطق . وعلى أقل تقدير ان مثل هذا الزعم أقرب للفهم والمنطق من مذهب ستانلى هول واخوانه الرجوعيين Recapitulationists الذين يزعمون ان الكذب سنة التطور وهو لازمة من لوازم بعض أطوار الانسانية في نشوئها

وحصل نظرية الرجوعيين بالاختصار هو ان الصبي يمثل في حياته الادوار التي مرت فيها الانسانية . فكما ان هذه قد مرت في تاريخ نشوئها بأدوار مختلفة من رجل الغاب الذي يسكن على الاشجار ويمكن لفريسته ويضربها بحجر ويأكلها من

غير طهي . الى انسان الكهوف الذي لم يكن يختلف عن الضواري في شيء فهو ينسب اظفاره في الحيوانات الاخرى . الى دور الرعاة الذين كانوا يخلدون الى سوائهم يعلقونها ويسمنونها للذبح . الى دور الزراعة حيث استكن الناس الى الارض يفلحونها ويأكلون من ثمارها فكانوا وادعين هادئين . الى دور المدنية هذه التي نعيش فيها الآن . من حيث ان الانسان قد مر بكل هذه الاطوار . فكذا نجد ان طبيعة الوجود تستلزم من الصبي ان يأتي عليه وقت في طفولته فيعيد ذلك التاريخ في نشاطه وسلوكه . فيكمن ويقفز . ويحتجى ويظهر . ويكذب ويحتال ويغش ويخدع . كما فعل أسلافنا من عهد ان تميز الانسان عن الحيوانات . ولقد قوى هذا الزعم عند الرجوعيين ماخالوه من ان الجنين في بطن أمه يعيد أو يحكي تاريخ تطور جسم الانسان . من نبات الى سمك . الى زواحف وطيور . الى حيوانات فقريّة وثديية الى ان يصير انساناً في ظرف تسعة شهور

ثم يمعن الرجوعيون في هذا الزعم إمعاناً شديداً . فيدعوا المربين لأن يتركوا الاطفال يكذبون ويغشون ويخدعون حتى ينفقوا هذا الرأسمال الذي لا بد وأن ينفق إما في الصغر حيث لا ضرر منه ولا ضرار . أو في طور الرجولة حيث تكون اخطاره على المجتمع عظيمة . وكان من رأيهم أنه لا يجب أن تكبت هذه الميول أو تقمع لأن ذلك يقتل نمو الفضائل في الطفل . كما أن قمع أي طور من أطوار حياته في بطن أمه يودي بحياته . ثم انه كان من رأيهم أيضاً أنه يجب أن لا يعاقب الطفل على الكذب لانه في طبيعة الاشياء ان الاطفال يكذبون . ولا يجب أن يعاقبوا على السرقة أو الدناءة والسفالة لانه لا بد وأن يكذبوا ويسرقوا ويتسفلوا ويتدنوا إن لم يكن عاجلاً فأجلاً . فلماذا لا نتركهم وشأنهم في الحال لنأمن خطر تلك الشرور في المستقبل ؟

ولكن لحسن حظ الاطفال أن نظرية الرجوعيين هذه لم تجد ما يدعمها من وقائع العلم ومشاهداته فذهبت وشيكا وكفانا الله شرها . فاني لا أخال نظرية أعود على الجماعة البشرية بالضرر من تلك . خصوصاً فيما يختص منها بالفضائل والاخلاق وان كانت نتائجها المادية أو العلية ليس يترتب عليه شيء كثير في حياة الانسان . فلسنا إذن نرى للرجوعية حقاً فيما تزعمه أو تذهب اليه في باب الفضائل والاخلاق .

أما زعم الدكتور ليبير من أن الخوف أو الفائدة هما أس الكذب فاننا نميل إلى تصديقه . والحق اننا لانحجم عن أن نذهب مع ليبير إلى أكثر من منتصف الطريق فاذا كان للصبي ان يخشى في الحقيقة أو في الخيال من عواقب أفعاله فهو قمين بأن يتجنب الصدق . ولمعالجة هذا يجب ان يكون للصبي من التأكيدات العملية وليست اللفظية أو الكلامية فقط ما يجعله ان يوقن ان مصيره في يد احباب يعطفون عليه ويسعون وراء خيره . وليس في يد قضاة أو منفذين للعقابات ومقتضين للذنوب . يجب ان يستقرىء من تاريخ حياته العملية أن اخطائه ليست مما يدارى عن والديه ، وليست مما يتخذ سبباً لارهابه وارعابه . بل هي من الامور التي تستدعى الاصلاح في كثير من العطف والحدب والحب . وانها مما تحل بالممارسة بينه وبين والديه . وليست مما يستدعى المحاكمة ونصب الموازين ، تقول الاوتلوك في احدى افتتاحياتها « ان ثقة الاطفال بوالديهم هي المفتاح الذي يفتح مغاليق نفوسهم لأولئك الوالدين »

حدث مرة أن طفلين احدهما في السادسة والآخر في السابعة من عمرهما غابا عن منزليهما غيبة طويلة لم يعتاداها فيما سبق . فسبب ذلك لعائليتهما كثيراً من القلق والحزن والنواح . وحدث ان المؤلف كان من شهود تلك الحادثة . فرأى عجباً عند عودة الطفلين . رأى أن عاطفة الامومة في إحدى الحالتين انقلبت الى عاطفة فظة غليظة . انقلبت الى غضب ونقمة . واما في الحالة الاخرى فقد اخذ العقل بقيادها . واستخدمها فيما يعود على الصبي والعائلة جميعاً

فعند رجوع الولدين سألت احدى الوالدين ابنها عن سبب غيابه فكذب وانتحل المبررات لنفسه . وزعم انه لم يبعد عن البيت بعيداً وعلى هذا فتناولته أمه بالعقاب البدني . ففي الظاهر كان عقابه للكذب الذي اقترفه . هكذا كانت العلة الظاهرة للآم عندما انهالت عليه . فلم تكن تدري لذلك سبباً من قرارات نفسها غفلت عنه ولم تستطع ان تستقصيه الى آخر حدود الاستقصاء . اما السبب الحقيقي الباطني الذي خفي عليها والذي لم تكن تدري بوجوده فهو ميلها النفساني للانتقام من ابنها على ما حملها من القلق والبكاء . وبعبارة اخرى وفي آخر الامر نرى ان هذه الام اطلقت لعواطفها العنان وصرفتها في ايلام ابنها . فاراحت نفسها وسرى عنها

وبمعنى آخر لقد حلت تلك الام معضلتها على حساب ولدها . تلك المعضلة التي نجمت عن طول احتباس العواطف في صدرها . فهي فعلت ما فعلت لتريح نفسها في الواقع ونفس الامر

واما الصبي الثاني فكان حظه خيرا من هذا . لأنه عندما علمت الام بأوبته سالماً كفكفت دموعها وتكلفت التظاهر بمظهر طبيعي . ولم تنس ان تهش لابنها كعادتها معه . ويحسن بنا في هذه الحالة ان نورد الحوار الذي دار بين تلك الام وولدها من غير شرح كثير لانه لا يحتاج الى الشرح . دخل الولد متهللاً . وبادرامه من دون أن تسأله فقال . « أمى انا الآن عائد من البلدة الفلانية (وهي قرية تبعد عن بلدته بمسيرة ساعتين أو ثلاث)

فاجابت الام بحرارة قائلة « حسنا جداً يا بنى . والله إنك رجل صغير . ويحق لامك ان تفخر بك . هل سررت من تلك النزهة الجميلة ؟ »
« أى نعم يا أمى . سررت السرور كله . »

« هذا يسرنى أيضاً يا بنى . فليس احب الى من ان تستمتع بالحياة الى آخر حدود الاستمتاع . أما من جهتي انا يا بنى فقد كان يومى هذا يوماً عصيباً »
فاقترب الابن الى أمه الى ان لاصق خده خدها وسأل فى عطف كثير « ولم ذلك يا اماء »

ويلاحظ القارىء هنا ان هذا بالضبط هو غرض الحوار كما رسمته الأم . وان هذه هى النقطة التى سددت اليها الحديث من أوله . وعلى هذا اجابت « لأنى لم اكن أدري اين مستقرك . وهل عرض لك مدروه فى يومك هذا . فقلبي يا بنى يقلق ويكتئب اذا ما غبت عني من دون ان اعرف الى أين انت ذاهب . وعلى هذا فقد انشغلت لأجلك طول يومى »

فما كان من الولد الا ان قال « انى آسف كل الأسف يا اماء . حقاً لقد فاتنى هذا الأمر ولم اتبه اليه . وهذه غلطتى يا امى . وانى اعدك وعداً صادقاً ان لا أذهب الى أى مكان بعيد قبل ان اطلعك مقدماً على نواياي »

ليس يخفى ان طريقة كهذه توفر على الوالدين كثيراً من المشاق والمتاعب . واهم من ذلك فانها اعود على اخلاق الأولاد ونفسياتهم من جميع ماعداها من الطرق

ولكنها تحتاج الى قوة في ضبط النفس . ومن من الوالدين يستطيع ان يتحكم في شعوره وعواطفه كتحكم تلك الأم ؟ وفي الحق لست أفهم كيف يتعرض صبي كهذا وأمه كما رأينا الى نقائص الكذب

الحياة Dishonesty

الحياة كالكذب في عهد الطفولة من وجهة انها مسألة ذكاء وادراك وليست مسألة أدبية . وعلى هذا فكثير ما يخطئ المربون اذ يعتبرونها مسألة اخلاقية ففي هذا الدور يتخيل الطفل ان كل شيء ملك له . وما عليه الا ان يمدد يده ويستحوز عليه . تقول ماري هارمون ويكس « يلزمنا مجهود فكري كبير لكي نعلم ان الأمانة من ضرورات الاجتماع ومطاليه » وحتى في بعض الحالات معنا نحن البالغين يصعب علينا ان نميز بين الحياة والأمانة من الوجهة المنطقية او العقلية . فكثير ما يكون النزاع بين أمانتين . كما ان الحق وسطا بين حقين . وكثير ما نضل الطريق لتشعب المسالك أماننا في مثل هذه القضايا العقلية والأدبية

فالأمانة من وجهتها العقلية هي مسألة يجب ان تساعد الأطفال على فهمها حق الفهم . وقبل ان يوقن الوالدون ان المعضلة ليست في المستوى العقلي والفكري لا يحسن بهم ان يعالجوها على انها مسألة اخلاقية . فليس اضر على الاطفال في معاملتهم من الخلط بين الأمور العقلية والأمور الادبية . فما يعجزون عنه من ناحية العقل يحتاجون فيه الى الشرح والتفهم وما يقصرون فيه من الوجهة الاخلاقية يحتاجون فيه الى الممران والممارسة وليس الى الشدة او الغلظة

ومن الجهة الاخلاقية ليس ينتج ان يزعم المربون ان الوعظ والنصح والكلام هي كل ما يطلب اليهم ان يفعلوه . ويؤسفنا ان نرى ان الكلام او العقاب يكادان ان يكونا السيلين الوحيدين في التربية والأخلاق عندنا . وفيما عدا ذلك يكاد الوالدون ان لا يجدوا الى الأخلاق سبيلا . والحال انه يجب ان يفهم الصبي من خبرته الشخصية ان الأمانة من مستلزمات الجماعة، يجب له ان يتعلم بالمران والخبرة ان حقوقه مقدسة . وان الحال كذلك مع ماهو من حق الآخرين . ففي الاسرة التي يكون فيها الصبي قد شب على ان حقوقه مصنونة لا يعتدى عليها أحد . واختبر

هذا بالفعل في سلوك الآخرين بازاء حقوقه يصعب عليه جداً ان تسول له نفسه فيمدد يده لما ليس له فيه حق . وخصوصاً اذا كانت كل حاجياته مقضية في حدود العقل والمنطق

حدث ان وجد الصبي الذي روينا قصته فيما سبق قطعة من ذات القرشين في الطريق . فتناول القطعة وقلبها وردھا الى مكانها من الشارع ومضى الى سبيله . وبعد فترة طويلة من الزمن كان يروي الحادثة لأمه فسألتہ عما اذا كان احضرھا فقال « كلا . كيف آخذھا يا أمی وهی لیست ملكا لی . لا لقد تركتها في موضعها » فكان حوار لذيذ بین الأم وولدها انتهى على ان فهم الصبي ان الواجب كان يقضى بأخذھا ووضعھا في مكان امين حتى ترد لصاحبھا عند ظهوره . وفعلًا رجع الصبي ووجدھا في مكانها وأخذھا . وبعد ساعات وجد صاحبھا فردھا اليه من تلقاء نفسه لقد لمحنا فيما سبق انه من حق الاطفال أن يحصلوا على كل ما يرغبون فيه متى كان ذلك في حدود العقل والمنطق ومتى كان مستطاعاً للعائلة من كل الوجوه وليس ثمة ضرر منه يعود على الصبي . واننا نعلم أن مثل هذا الرأي يستجلب كثيراً من النقد . ولكن المؤلف يصرح انه ثائر على التقيدات الكثيرة التي يحوط بها الوالدون أولادهم فيما يجدى وما لا يجدى . فلست تزور عائلة من غير أن ترى تلك القيود الكثيرة التي تحد من حركة الطفل ونشاطه لغير سبب ظاهر . فتارة يوبخ لانه مد يده لهذا الشيء . وأخرى ينتهر لان نفسه حدثته أن يتناول ذلك الشيء تقلباً وفحصاً . وأخرى لانه هم بشيء آخر . الحق أن مثل هذه الاوامر والنواهي تتخطى حدودها في معظم الحالات وتدفع الطفل على أن يصل إلى أغراضه في غفلة من مريه أو القوامين عليه . علاوة على أن مثل هذا المسلك يترك في نفسه أثراً نفسية غير مرغوب فيها من الوجهة الاجتماعية والاخلاقية . فتشتد فيه الرغبة . وتلحف عليه التجربة إلى درجة يعود معها عاجزاً عن المقاومة والامتناع فيسقط ويتكرر سقوطه حيث لم يكن ثمة داع لكل هذه التجارب القاسية

ولذلك فاننا نذهب إلى أن للطفل أن يحصل على ما يريد بشرط أن يكون ذلك في حدود العقل والحكمة . فاذا تبين للوالدين بعد إمعان الروية والتفكير العميق أنه

لا يجب أن يستجاب له فليكن ذلك قاطعاً مانعاً . ثم أهم من ذلك يجب أن نشرح له الاسباب شرحاً مستفيضاً مدعماً ببراهين يقبلها عقله وتوسعها مداركه ويتقبلها طائعاً مختاراً . ثم علاوة على ذلك يجب أن يجنبوه للتجربة القاسية التي ليس لها قبل . أو بعبارة أخرى يجب أن يحموه من نفسه فلا يخلون بينه وبين تلك النفس اننا لا ننكر أن مثل هذا المسلك شاق ويتطلب كثيراً من الزمن والتضحيات . ولكن ما قيمة الزمن والتضحيات إن لم يندلج في تغيير الدنيا من أساساتها ؟ فالرغبات قوية قاهرة وتستلزم من الوالدين إرادة وصبراً أقوى ليحولوها إلى ما ينفع الصبي ويعود على أخلاقه . يقول الأستاذ ديوى « من طبيعة الرغبات انها قوية وملحفة . ومتى وقفت في سبيلها رغبات الآخرين ومطالبهم اندفعت إلى أعماق النفس لتسير في مسارب خفية مستترة وينتج من ذلك أحد أمرين . أما الثورة العلنية . أو التحايل على خداع الآخرين » وهذا في الواقع ما يدعونا إلى أن نطلب إلى الوالدين أن يكونوا معقولين في أوامرهم ونواهيهم . لا بل قد نطلب اليهم أن يكونوا متسامحين قليلاً في النواهي والأوامر على السواء

غريزة الخوف

يقول الأستاذ واطسون السلوكي (Behaviorist) « قيل ان الأطفال يخشون الظلام بالغريزة . ومع اننا نتحرز جداً في رأينا هذا الذي سوف نرأيه في هذه الغريزة الا اننا نقول اننا لم نستطع ان نصل في أبحاثنا إلى ما يدعم هذا الرأي فعند ما تظهر مثل هذه العوارض على الاطفال نميل إلى القول ان أسبابها بعيدة عن ان تكون فطرية . يجب ان ننظر إلى ظهور الخوف في الطفل على انه مكتسب بفعل قانون الارتباط الشرطي »

وفي كتابه الذي ظهر بعد هذا يجزم واطسون ويقطع ان الخوف اكتسابي وليس طبيعياً أو فطرياً

واما نحن فلسنا في مركز يسمح لنا ان نزعّم ان الخوف غريزة . وذلك لأننا نميل في الواقع إلى مذهب السلوكيين في هذا الامر . فالخوف في نظرنا اكتسابي بفعل قوانين النفس . ولكن كثيرين من علماء النفس يزعمون بخلاف ذلك . وعلى

أى حال ليس هذا مكان البحث فى هذا الموضوع الذى هو من اختصاص كتب علم النفس . ويكفى ان نقول هنا ان واطسون أجرى كثيراً من التجارب على الأطفال فلم يجد أثراً يدل على ان الخوف غريزى وأما من الوجهة العملية فيحسن بالوالدين والمربين ان يدرجوا على الزعم انه اكتسابى . وان ليس من طبيعة الطفل العادى ان يخاف امراً . او على أقل تقدير انه يجب عليه وينتظر منه ان لا يخاف شيئاً . « فليس للكائن الانسانى نوع طبيعى معلوم من الخوف » كما يقول دورسيه فلو فعل الوالدون هكذا لاغنوا انفسهم عن كثير من الاتعاب التى لا طائل تحتها ولوفروا على اطفالهم كثيراً من النقائص الأخلاقية التى تنجم عن الخوف وفى الحقى لقد وجد المؤلف فى مشاهداته ان الوالدين فى أغلب الاحيان يأخذون عن غير قصد منهم بالطبع ان يغرسوا جرائم الخوف فى نفوس اطفالهم . ولما تكبر تلك الجرثومة وتتحكم فى مصير الأطفال ينزعج الآباء لها ويصيحون قائلين « هاكم الطبيعة وهاكم آثارها . من منا يستطيع للطبيعة دفعا ؟ ان الخوف غريزة كامنة فى نفوس اطفالنا . ونحن نعجز عن ان نجد لها دواء » ولا يدري هؤلاء ان الخوف فى الواقع من غرس أيديهم فى معظم الحالات . وانهم هم دون الطبيعة مسئولون عن وجوده فى نفوس الاطفال . ينسّون ان سببه فى الوسط والبيئة وليس فى الفطرة والطبيعة . فاذ نطالب الى الوالدين ان يقاوموا الخوف ، لانطلب اليهم ان يقاوموا الطبيعة . بل بالحرى ان يهذبوا البيئة ويغيروا من عناصرها ما يغرس الخوف فى الأطفال

والبيت هو البيئة التى تنمو فيها جرائم الخوف . ونقصد بالبيت فى هذه الحالة كل ما يلبس الطفل فى حياته الأولى ويتصل به من انسان وحيوان واشياء . فالخوف من الظلام مثلا ليس شيئاً فى طبيعته من نحوها . وما هو الا اتجاه فكري جديد نحو الظلام . ولا بد وان يكون قد اكتسب هذا الاتجاه فى طور من أطوار حياته وهذه الاتجاهات الفكرية هى مما يحدد العلاقات بين الفرد وما يخشاه او ما يخافه حدث مرة ان مربية قالت لطفل له من العمر عامان وكانت تقوم على رعايته « اف للظلمة المخيفة ... ظلام موحش » فما كان من الطفل الا انه انتفض والتصق بها وقال ... « عتمة وحشة » واكتشف والده بالصدفة هذا الاتجاه الجديد فى شعوره

نحو الظلام ويقول الاب — وقد كان من المطلعين على أصول التربية الحديثة — انه
 صرف عشر ليال في مجهود مستمر لانتزاع ذلك الاتجاه الجديد في شعور ولده .
 فكان يأخذه كل ليلة الى قاعة مظلمة ويكرر على مسامعه القول « ظلام مريح للعين
 ظلام لطيف . ظلام بديع » ثم يعطى لابنه في نفس الوقت بعضاً من الحلوى
 وهكذا استخدم ذلك الاب قوانين علم النفس في مقاومة الخوف . ولقد نجح في
 ذلك نجاحاً تاماً

ألمحنا فيما سبق إلى إمكانية التحكم في البيئة . وهذا بالطبع ممكن إلى حد كبير .
 إلا أنه توجد أمور خارجة عن طوق المربين وهي في نفس الوقت تسدد مجرى
 حياة الاطفال في كثير من الاحيان . ومن هذه العوامل الاصوات في الشوارع
 وخصوصاً متى كانت مزعجة وباغثة . ثم الايحاء من الآخرين خصوصاً متى كانوا
 أكبر من الطفل . أو وقوع حادثة مرعبة أو مؤلمة للطفل . كل هذه من العوامل
 التي تتحكم في نفسية الاطفال إلى مدى بعيد الفور . وكل هذه بالطبع يصعب على
 الوالدين والمربين التحكم فيها وتوجيهها إلى وجهة معلومة قبل حدوثها . وهذه كما
 قلنا من الامور التي تبث الخوف في نفوس الاولاد

فاذا ما تركت جرثومة الخوف لنفسها نمت وتأصلت وصارت عادة او خاصية
 من خواص الشخصية الملازمة لها في كل اطوار الحياة ولكن لحسن الحظ استطاع
 علم النفس ان يكتشف علاجاً ناجعاً لكل هذه الحالات بشرط ان يكون القائم بامر
 هذا العلاج على شيء كثير من الفطنة والذكاء وله من الذوق السليم والصبر والاناة
 ما يعاونه على معالجة هذه الحالات بتطبيق القانون السالف الذكر . وبه قد عالج
 بافلوف الروسى بعض الحيوانات . وواطسون بعض الاطفال فكان له من الاثر
 والنتائج ما وضعه في صف القوانين الطبيعية

وعلى ذكر واطسون نقول انه استطاع ان يوجد الخوف في نفوس الاطفال
 من الظلام والاصوات المزعجة وبعض الحيوانات وما أشبه . ثم استطاع في نفس
 الوقت ان ينتزع جرثومة هذا الخوف انتزاعاً فلم يعد لها اثر يدل عليها . يقول
 دورسيه في هذا الصدد « يمكننا اقتلاع الخوف تدريجياً بفعل قانون الارتباط الشرطى
 وابدال عادات الخوف من الاشخاص والاشياء بعادات اخرى لاشأن لها بالخوف »

لسنا نتوى ان نضع برنامجاً مفصلاً للآباء والمربين فى هذا الامر او فى هذا المكان . وانما نقول ان مثل هذا البرنامج واضح ظاهر . وكل ما يلزم له هو قليل من الصبر والناة والدراية والذوق السليم للتغلب على الخوف . وقد شاهد المؤلف شخصياً نجاح بعض الوالدين فى هذا الامر . وعلى كل حال نظن انه يحسن بالآباء من مبدأ الامر ان يحرصوا على ان لا تكون ثمة فرصة للخوف لينغرس . واما ان ظهرت عوارضه فعليهم ان لا يثدوه او يكتبوه . لان وأده اصل لكثير من الامراض العصبية والخلقية بل يجب معالجته فى وضوح النهار . وليس يصح تجاهله او انكاره بحال من الاحوال

من شأن التهديد ان ينتج الخوف . بل نكاد نجزم ان ليس له سوى هذه النتيجة وان غرض المربي عندما يلجأ اليه هو ان يخيف الطفل من نتائج سلوكه . وعلى هذا فالتهديد اصلاً ليس من عوامل بناء الاخلاق . ولا نعدو الصواب اذ نقول انه من عوامل هدمها . لانتا نرى انه اصل الخوف . والخوف كما بينا من اعدى عداة المبادئ . فيجب والحالة هذه ان نبين للطفل النتائج المحتملة لتصرفه من غير ان نحمله بالخوف او بالتهديد على تركها . من حق الصبي ان يرى لنفسه لماذا يطالب بترك هذا وبفعل ذاك . ويجب أن يترك ما يتركه ويعمل ما يعمل به بدواع اخرى غير هذا . كأن تكون هذه الدواعى حبه للجماعة التى يعيش فيها ومعاوته لها فى مهام حياتها . ففى اخطأ تنتهز هذه الفرصة لتقويم اخلاقه وليس لتخويفه وايلامه . وفى كلا الحالين . فى الخطأ والصواب يلزم ان يكون الغرض من معالجة الصبي ترقية اخلاقه وليس شيئاً آخر

الاثرة

محبة الذات أو التجرد من الصفات الاجتماعية من الامور التى اعتبرها كثيرون من علماء النفس غريزية أو طبيعية موروثة . ثم ان بعضهم اعتبر أن الخصائص الاجتماعية للانسان من الامور المكتسبة التى يجب غرسها فى نفسه بالتربية والتعليم

وقد يكون هذا حقاً وصدقاً إلا انه حق وصدق أيضاً ان للطفل من الخصائص

الاجتماعية الطبيعية ماله من الغرائز الفردية فان كان أحدهما فطرياً فالآخر كذلك . وعلى أى حال فلهذه المسائل أيضاً وجهها العقلى الظاهر . فالطفل محب لنفسه ليس لانه لا يهتم للآخرين من الاصل بل لانه لا يدري لهم وجوداً . فحاجاتهم ورغائبهم ليست مفهومة لديه ، ولا يشعر بها . فالكون كله فى عرف الطفل يدور حول نفسه . وليس ذلك لانه محب لنفسه بل لان تلك النفس من وجهة نظره هى كل ما فى الكون . فهو الكون . والكون هو . وليس بين الاثنين من فارق . فاهتمام الفرد إذن متوقف إلى حد كبير على مقدار معلوماته ومعارفه . ونلاحظ ذلك فى الفلاح الغير متعلم . فان اهتمامه يضيق أفقه جداً إلى أن يكاد يكون أثره وفردية متعنتة ذلك ليس لان طبيعته تتطلب منه هذا الامر . بل لانه لا يعلم ولا يدري عن الدنيا كثيراً

يأتى على الاطفال وقت فيه تكون كل الشخصيات الاخرى بعيدة عن متناول اختباراتهم الشخصية . وكلما تقوت أفهامهم وارتقت حاسياتهم ومشاعرهم كلما هم صاروا أقدر على التخلق بالميل الاجتماعية . وصارت عقولهم غيرية فى تفكيرها واتجاهاتها . بشرط أن يكون ما أختبروه فى الحياة مما يساعد على هذه الميل . يقول الاستاذ وايجال « ان ضئولة اختبارات الطفل بالنسبة للكبار تجعله يعجز أكثر منهم عن أن يعرف حاجيات الغير ورغائبهم وعن أن يراها بعين خياله وللاطفال أيضاً من الغرائز والميل ما يدفعهم إلى فعل الامور التى تنفع الآخرين بغض النظر عن فائدتها لهم »

اذن فما كان من الخبرة والمران من نوع معلوم فهو مما يساعد الاطفال على تكوين الميل الاجتماعية . فاذا خبر الطفل فى عائلته هذه الميل . واذا وجد ان لايه وامه من الخصائص الغيرية قدر بارز فاغلب الظن انه يقلدهما ويسمح لتلك الميل بعينها ان تنغرس فيه بدورها ثم اذا ايقن بحب والديه له واذا اكتشف استعدادهما لخدمته وأكثر من ذلك اذا سمح له ان يضطلع ببعض المسؤوليات الصغيرة فى سبيل عائلته فالانسان يعجز والحق يقال عن ان يرى كيف لا يكون مثل هذا الطفل اجتماعياً فى ميوله . نقول انه اذا كان له من الغرائز والميل الاجتماعية الفطرية ما لكل مولود آدمى كما يؤكد علماء النفس . واذا كانت تلك الغرائز والميل

تجد متسعاً لها في البيت لتصرف الى نشاط ومران وخبرة، وإذا كانت نتيجة ذلك النشاط الاجتماعي ليست مؤلمة للطفل، نقول انه متى توافرت كل هذه الشروط فلسنا نرى هناك مجالا له ليصير فردياً محباً لنفسه

وفي التربية الاجتماعية للأطفال يجب ان يشعروا ان لمسئولياتهم نحو العائلة اثرأ في تقدمها ورفاهتها. فليس افعل في مثل هذه التربية من الشعور بفائدة ما يؤديه الفرد للجماعة من الخدمات والمسئوليات. ومن حيث ان المربين أخذوا في هذا العصر يؤكدون حقوق الطفل وحسننا يفعلون. فيحسن بنا ان لاننسى أهمية الدور الذي تلعبه الواجبات أيضاً يجب ان نفعل هذا ولا نهمل تلك. ويحسن بنا ان نذكر انفسنا ان المسئوليات وليست الحقوق هي التي تخلق الرجال. أظن انه ليس من المتعذر ان نجعل الصبي يعرف بالخبرة والمران ان « ليس لاي انسان حق في الحصول على جميع حقوقه » كما قال فليبس بروكس. ولقد قال ريتشارد مورس هودج ان « اخلاق الفرد هي نتيجة مباشرة لمجهوداته في خدمة عائلته »

النمو العقلي للطفل

تميل التجارب التي اجريت لاختبار الذكاء الى ان تدل على ان معدله في الفرد هو معدل ذكاء صبي في الرابعة عشرة الى السادسة عشرة من عمره. او بمعنى آخر ان ذكاء ملايين الناس هذه لا يعدو في معظم الأحيان ذكاء صبي في السادسة عشرة من عمره وهناك حقيقة أخرى اتفق عليها علماء النفس: وهي ان المعلومات والمعارف هي جزء من الذكاء بمعنى انك اذا اردت ان تختبر ذكاء انسان معين فعليك ان تختبره في معارفه ومعلوماته العامة

فاذا كان هذان الأمران صحيحين — ونحن نميل الى الأخذ بهما — فمسئولية الوالدين في تطور ذكاء اطفالهم جسيمة، مسئوليتهم جسيمة لأنهم اولا يورثون الاطفال استعداداتهم الطبيعية للذكاء. وثانياً لأنهم يتعهدون هذا الذكاء بالمعالجة لينمو ويشتد وخصوصاً متى افترضنا ان الصبي يقضى في احضان عائلته الثمانية عشرة سنة الاولى من سني حياته او ما يقرب من ذلك. فالوالدون اذن يعطون اطفالهم ذلك الذكاء عن طريق التوارث الطبيعي، ثم هم أيضاً يتعهدون ذلك

الميراث الى ان يبلغ أقصى مبلغه . اذن فالعائلة هي التي تصطنع الصبي . نحن لا ننكر فعل العوامل الأخرى ، ولكن الأسرة هي أهم تلك العوامل على الإطلاق . وعلى هذا فيحسن بالوالدين ان يهتموا الاهتمام كله للحقائق التي تصل الى الأطفال ، يجب ان يروا لأنفسهم ان تكون تلك المعلومات والحقائق من النوع المطلوب ، وان تكون بالقدر الكافي

للأطفال مهمة للحقائق والمعلومات لا تشبع ، فهم يريدون ان يعرفوا كل شيء . ولهم عذرهم في ذلك لان لا خبرة لهم سابقة بالدنيا وما فيها . وهم حين يسألون لا عهد لهم بما عنه يسألون . وقد يكون هذا أول عهدهم بالاتصال بالاشياء والحوادث حوالهم . والاشياء والحوادث تربك عقولهم وتحيرها ، لان كل شيء يحجبهم لأول مرة هو لغز معمى عليهم لا يدرون له حلا . فمن واجب الوالدين في مثل هذه الحالات ان يسدوا مهمتهم لتعرف الاشياء ، فالمعرفة هي غذاء عقولهم ومن دونها تجذب عقولهم وتقفر

فمن وجهة التطور الطبيعي ليس للسلف من وظيفة سوى تدريب الخلف واطلاعه على ميراث النوع . ثم يمر ذلك السلف من الوجود . وهذا هو الواقع مع بعض الحيوانات الدنيا . فانها تقوم بهذه المأمورية حرفياً ثم تختفي من الوجود . أى انها تنتج صغارها ثم تموت ، فكأن ليس لها غاية من الحياة سوى اعداد جيل آخر لحفظ النوع . فهي تبلغ رسالة الوجود ثم تذهب لحال سبيلها

ومن الامثلة على ذلك ثعابين البحر . فهي تسافر مئات من الاميال في الانهار لتصل الى البحر . وهنالك تضع بيضها ثم تموت . ومنها أيضا سمك سليمان الذي يسافر بالعكس ، اى من البحر الى الانهار ، هنالك يضع بيضه أيضا ثم يموت

فكاد نقول ان ليس لهذين النوعين من الاحياء من عمل سوى ايداع بيضها في البيئة الملائمة ، ثم تزول من عالم الوجود . اما في حالتنا نحن الآدميين فالطبيعة تتركنا قليلا ، لان مسؤولياتنا لا تنتهى بالتوالد فقط كما هي الحال مع انواع كثيرة من الاحياء . فنحن لنا ميراث اجتماعي . ويظهر ان الطبيعة تريدنا على ان نتركه لأولادنا .

قد يظهر ان هذا ضرب من الايمان بالفلسفة المادية التي لا تؤمن بها . ولكن هذا هو الواقع الى حد محدود

ومع كل ذلك يفشل الآباء في بلادنا فشلاً مريعاً في الاضطلاع بهذه الواجبات . فهم يتركون اولادهم يهلكون من الوجهة العقلية . واطهر برهان على هذا الترك ضئولة المعلومات الجنسية عند اولادنا . فهم لا يدرون شيئاً عن خصائصهم الجنسية . ولكن يحسن بنا ان نترك هذا الامر الآن لنعود اليه في فصل مستقل . اما من وجهة المعلومات العامة فقد اهمل الوالدون في تدريب عقول اولادهم اهمالاً يوشك ان يكون طامة عليهم . فكثير منهم يتبرمون بأسئلة ابنائهم ويتضايقون . كأن للاطفال معينا آخر يستقون منه تلك المعلومات . الحق انه محزن جداً ان نرى ان كثيرين من الاطفال يتركون لمحض الخيال للتكهن بطبيعة الاشياء التي يتصلون بها اول اتصال . وكثيراً ما يكونون اراء ونظريات في الظواهر والحوادث ابعد ما تكون عن حقيقة الاشياء وذلك لأن تبرم الوالدين بهم قد وقف حاجزاً بينهم وبين تلك الحقائق

يكاد الانسان في الواقع ان يحزم انه ليس احوج للفطنة والذكاء ولتعهدهما من بعض الوالدين انفسهم . ويكاد الانسان ان يلبس السبب الذي دفع روبرنسون لان يقول في كتابه انه لا خلاص لعالمنا هذا من غير تعهد لذكاء الناس عامة . وفي الحق اننا في حالتنا الراهنة هذه -- في القيام على شؤون أطفالنا العقلية -- لسنا احوج الى شيء أكثر من حاجتنا الى الذكاء ، أو على أقل تقدير الى الذوق السليم

الوجهة السلبية للاخلاق

في المجهودات التي يبذلها الآباء في تعهد أخلاق أطفالهم يحسن بهم ان لا يتكثروا جداً على وجهتها السلبية . أى ان تكون الدوافع للاخلاق سلبية محضة . فشلاً لا يحسن بهم اذ يطلبون الى أطفالهم ان يقولوا الصدق ان يطلبوا اليهم ذلك لان الكذب ردىء فقط . أو ان يكونوا أمناء في معاملاتهم لان الخيانة بغیضة . أو ان يكونوا شجعان لأن الجبن رذيلة . أو يكونوا اجتماعيين لان الفردية مردولة فقط لا يصح للآباء ان يحضوا ابنائهم على الفضيلة في مجموعها لأن الرذيلة شر فقط . نقول ذلك ونحن نعلم ان هذا حق لا مرية فيه . نحن نوقن ان الرذيلة شر وان الفضيلة خير ولسنا نتردد في ذلك . وانما

ما ندعو اليه هو انه لا يجب ان يكون الدافع على الفضيلة ليس شيئاً سوى قبح الرذيلة .
يجب ان لا يكون قبح الرذيلة هو العامل الاوى والاساسى الذى يدفعنا الى التمسك
بالفضيلة بل يجب ان يكون جمال الفضيلة نفسها هو العامل الاوى والمهم فى تمسك
الناس بها

يجب ان يتعلم الاطفال ان الصدق والامانة والميول الاجتماعية هى خير لذاتها
بغض النظر عن قبح اضدادها . يجب ان يرغب الاطفال فى هذه الفضائل لذواتها
وليس لان ما عداها شر . وبعبارة اخرى يجب ان تكون الدواعى للفضيلة ايجابية
فيكون الدافع لنا على التمسك بالحق حبنا للحق ذاته وليست كراهيتنا للكذب . ولقد
قال سبينوزا فى كتابه عن الاخلاق ان اى شىء يستطيع الانسان تركه لانه ردىء
يستطيع ان يتركه ايضا لأن شيئاً آخر افضل منه . او بمعنى آخر . اذا كنا نستطيع
ان ننأى بجانبنا عن الرذيلة لانها شر نستطيع ان نعمل نفس الامر لأن الفضيلة خير
قال وليام جيمس فى هذا الصدد . « ان من يبنى حياته على كلمة (لا) ومن يقول
الحق لأن الكذب شر . ومن يظل فى صراع مستمر مع ميوله الوضيعة هو اذنى
حالا ومركزاً منه فيما لو تملكته محبة الحق والشرف بطريقة موجبة . وفيما لو حلفت
نفسه فوق التجارب المتنوعة »

